

الأوّل الشّرعيّ

الفصلُ الدراسيّ الأوّلُ

طبعة ابتدائية

1437 هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلام بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلام بسيفِه.

أما بعد:

فإنه بفضل الله تعالى، وحسن توفيقه تدخل الدولة الإسلامية اليوم عهداً جديداً، وذلك من خلال وضعها اللبنة الأولى في صرح التعليم الإسلامي القائم على منهج الكتاب، وعلى هدي النبوّة وبفهم السلف الصالح والرعيل الأول لها، وبرؤيةٍ صافية لا شرقيّة ولا غربيّة، ولكن قرآنية نبوية بعيداً عن الأهواء والأباطيل وأضاليل دُعاة الاشتراكية الشرقيّة، أو الرأسمالية الغربيّة، أو سماسرة الأحزاب والمناهج المنحرفة في شتّى أصقاع الأرض، وبعدما تركت هذه الوافدات الكفرية وتلك الانحرافات البدعية أثرها الواضح في أبناء الأمة الإسلامية، نهضت دولة الخلافة -بتوفيق الله تعالى- بأعباء ردّهم إلى جادّة التوحيد الزاكية ورحبة الإسلام الواسعة تحت راية الخلافة الراشدة ودوحتها الوارفة بعدما اجتالتهم الشياطين عنها إلى وهدات الجاهلية وشعابها المهلكة.

وهي اليوم إذ تُقدم على هذه الخطوة من خلال منهجها الجديد والذي لم تدخر وسعاً في اتِّباع خطى السلف الصالح في إعداده، حرصاً منها على أن يأتي موافقاً للكتاب والسنة مستمداً مادته منهما لا يحيد عنهما ولا يعدل بهما، في زمن كثُرَ فيه تحريف المنحرفين، وتزييف المبطلين، وجفاء المعطلين، وغلوا الغالين.

ولقد كانت كتابة هذه المناهج خطوة على الطريق ولبنة من لبنات بناء صرح الخلافة وهذا الذي كُتِب هو جهد المُقِل فإن أصبنا فمن الله وإن اخطأنا فمنا ومن الشيطان والله ورسوله منه بريء ونحن نقبل نصيحة وتسديد كل محب وكما قال الشاعِر:

وإن تجد عيباً فسُدَّ الخللا ... قد جلَّ من لا عيب فيه وعلا

(وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين)

محتويات الفصل الأول

ت	المحتـــوى	عدد الحصص	رقم الصفحة

المقدمة

فهذه عصورٌ اتَّسمت بالتقلُّبات التي شهدت أحداثاً سياسية مضطربةً، وضعفاً غيرَ مسبوقٍ لمركزِ الخلافةِ العبَّاسية، فسقطت بغداد بعد ذلك بيد التتار سـنةَ (656هـ_1258م)، وضـاعت بـلاد الأنـدلس وغابـت شمسـها إلا أنَّ معينَ الأدب لم ينضب وقرائحُ الشّعراءِ ما زالت تجودُ بنظمها.

وهذا كتـاب الأدب العربـيّ للصف الأوَّل الشرعي نقدِّمـه لكم آملـين أن يحقِّق الفائدة المرجوَّة من كتابتِه.

وجعلنـا هذا الكتـاب علـى ثلاثـةِ أقسام: القِسمُ الأوّلُ ضمَّ أدبَ العصرِ العبَّاسـي الثـاني، تناولنـا فيـهِ سمات هـذا العصـر، وأبـرز الأغراض الشـعرية، كالمـديح، والوصـف، والرثـاء، والجهـاد، والحماسـة، مـع عرضٍ لأبـرز تطـورات النثر في هذا العصر.

أمّا القسم الثاني فخصصناه لأدب العصور العباسيَّة المتأخرة، مسلِّطين الضوء على الفنون الشعرية المستحدثة، وقدَّمنا استعراضاً لمجالات النثر فـي تلك العصور.

واختصَّ القسم الثالث بالأدب في الأنـدلس وفيـه قدَّمنا تقسيماً لعصور الأنـدلس وأهـم اتجاهـات الشـعر فيهـا آنـذاكَ، مـع بيـانِ قيمـةِ النّثـر وأهـم كتَّـاب الأندلس.

ونسـألُ الله سبحانه وتعـالى أن يتقبَّـلَ هـذا العمل خالصًا لوجهـه، إنَّـه على كلُ شيء قدير.

الأهداف العامة للمادة :

1. تعريف الطالب بفنون الأدب العربي وعصوره وأعلامِهِ، وحفظ بعض نصوصهِ، وتنمية الذائقة الأدبيّة واللغويّة لدى الطالب.
2. رفع القدرة الإدراكيَّة في تحليلِ النَصوصِ الأدبيَّةِ.
3. غرس حبّ اللغة العربية لدى الطالب من خلال جمالية النصوص الأدبيَّة.
4. بناء الشَّخصيَّة الإسلاميَّة لدى الطَالب وتهيئتهِ للتَّعامل مع كتب التَّراث العربيُ.

الهدف من المادة الحالية:

- التعريف بالأدب في العصر الجاهلي وصدر الإسلام والعصر الأمويَ وبيان تأثير الإسلام في الأدب وموقفهِ منه.

العصر العبّاسيّ

334هـ ـ 656 هـ

عدد الحصص 1

الأهداف

1. أنْ يلخص الطالب الجوانب التاريخية في العصر العباسي الثاني.
2. أنْ يذكر الطالب أسباب ضعف مركز الخلافة في هذا العصر.

ضعُفَتِ الخلافةُ العبَّاسيّة، وذهبتْ هيبَتُها، بعد مقتلِ الخليفةِ المتوكّل سنة (347 هـ) بمؤامرةٍ مدبّرةٍ من ابنِه (المنتصرِ) مع الغلمان الأتراك، ما أدّى إلى ضَعفِ سُلطةِ الخُلفاءِ، فصارَ القرارُ لرجالٍ وجماعاتٍ تصرِّف شؤونَ الدَّولةِ، يعزلون ويُولّون حسبَ أهوائهم ورغباتهم، فخِلالَ أربعةَ عشرَ عاماً (320 هـ _ 334 هـ) عزلوا ونصَّبوا خمسةَ خلفاء، منهم مَن قُتِل، ومنهم من خُلع أو سُجن وسُمِلَتْ عيناهُ.

وظهرت في هذه الحقبة إماراتٌ ودويلات في الشرق والغرب، انسلخت من جسد الدّولة العبَّاسيّة، لها سلطانُها ونفوذُها، وقوّتها وسيطرتها، وقُوَّادُها وجنودها، مثل (السّامانيّة) فيما وراء النهر، و(الزيّاريّة) في جرجانَ، و(الغزنويّة) في أفغانستان والهند، و(البويهيّة) في فارس، و(الحمدانيّة) في حلبَ والموصل، و(الفاطميّة) في مصرَ.

وأثناءَ هذا التفكُّكِ والانحلال، وضَعفِ مركزِ الخلافة، انتهزَ البويهيّونَ الفرصَ الفرصةَ، ووجدوها سانحةً لتحقيقِ مآربهم والوصولِ إلى غاياتهم، فخرجوا من ديارهم، وزحفوا بجيوشهم إلى بغدادَ. وقد رَحَّبَ بهم الخليفةُ المستكفي بالله (333 هـ – 334 هـ)، ومنحَ رؤساءَهم ألقابَ التَّكريمِ ظنّاً منه أنه يستعين بهم في رد مكانة الدولة العبَّاسيّة وهيبتها إلى سابق عزِّها بعدما أنهكتها قوى التّرك الذين اعتمد عليهم المعتصمُ وشيَّدَ لهم مدينة (سرّ من رأى)، حتّى استفحلَ أمرُهم يوماً بعدَ آخرَ، وأصبحَ الحلُّ والعقدُ

بأيديهم، يتصرفون في شؤون الدولة كما يشاؤون حتى أصبحوا مهيمنين على واجبات الخلفاء من بعد.

دخل أحمدُ بن بويه بغدادَ في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة (334 هـ)، وجعله الخليفة المستكفي بالله أميراً للأمراء ولُقِّبَ بـ (معزِّ الدولة)، ولُقِّبَ أخوه عليُّ بنُ بويه الذي استقل بإدارة إقليم فارس بـ (عماد الدولة)، ولُقِّب الحسن بن بويه الذي أصبح حاكماً على ولايتي الري والجبل بـ (ركن الدولة). ثم أمر أن تُضرب ألقابهم وكُناهُم على النقود إلى جوار اسمه. وسُرعان ما تنكَّر معزُّ الدولةِ البويهي للخليفة المستكفي بالله بعد شهرٍ واحد من وصوله إلى بغداد، وغدر به، وسجنه، وسملَ عينيه، ونهبَ داره، وكانت هذه أقبحَ فعلةٍ وأشنع بداية سيئة ومنكرة اقترفها البويهيون بحق الخلافة العبَّاسيّة، والذي فعله معزُّ الدولة بالخليفة المستكفي بالله، فعله بعد ذلك بهاء الدولة مع الخليفة الطائع لله سنة (381 هـ) حيثُ أخذ ما في قصره من ذخائرَ وجواهرَ.

ظل البويهيون متمسِّكين بزمام الأمور أكثر من مئة عامٍ، يرفلون مع حاشيتهم في ترفٍ ونعيمٍ وعيشٍ كريمٍ، أما عامة الناس فقد عاشوا في ظل الغلاء والخوف والرعب والمصادرة.

أغراض الشّعر في العصر العبّاسيّ الثاني

كَثُرَ عدد الشِّعراء، وغَزُرَ نتاجهم في العصر العبَّاسيّ الثّاني، وعاشوا في ظل الخلافة في بغداد أو في ظل الملوك والأمراء في المماليك والدويلات التي قامت آنذاك في الشرق والغرب، وكانوا من أجناس متباينة وأقوام مختلفة تجمعهم اللغةُ العربية التي انتهلت قرائحهم منها، فجادوا بالبيان شعراً ونثراً.

إن الأغراض الشِّعرية في هذا العصر غالباً ما كانت امتداداً لما هي عليه في العصور السابقة، وسنعرِضُ فيما يأتي أهمَّ تلك الأغراض:

المديح

عدد الحصص 1

الأهداف

1. أن يوضح الطالب سبب انتشار شعر المديح في العصر العباسي الثاني.
2. أن يذكر الطالب بعض شعراء المديح في العصر العباسي الثاني.
3. أن يقرأ الطالب بعض البيات الشعرية التي نظمها (حيص بيص) في مدح الخليفة عن ظهر القلب.

لـو رجعنا إلـى الـدّواوين الشِّعرية والكتب الأدبية، سنجدُ أنَّ كفّة المديح هي الرّاجحة وكميته هي الفائقة، ولعلَّ ذلك يعود إلى كثرة المدَّاحين الذين سخَّروا شعرهم لكسبِ المالِ والجاهِ، حتى إنَّ الكثيرين منهم في أواخر العصر العبَّاسيّ اختصُّوا بالخلفاء وعُرِفوا بشعراء الديوان وكانوا يتقاضون أجوراً شهرية من الدولة، وينالون عطايا وهدايا من الخلفاء أنفسِهم في مناسبات كثيرة. ومثال ذلك الشاعر أبو الفوارس سعد بن محمد الصيفي المعروف بـ (حيص بيص) فإنه نال من المستضيء بأمرِ الله على أبيات مدحَه بها حينَ تولّى الخلافةَ ثلاثمئة دينار وخُلعةً وضَيْعَةً كبيرةً، وفي ما يأتي أبيات في مدح الخليفة:

للحفظ

أقولُ وقَد تولّى الأمرَ حَبرٌ ... وليٌّ لم يزَلْ برًّا تقيَّا
وقَد كُشفَ الظَّلامُ بمستضيءٍ ... غَدا بالنّاس كلّهِمُ حفيّا
وفاضَ الجودُ والمعروفُ حتّى ... حسبتُهُما عُباباً أو أتيَّا
بلَغْنا فوقَ ما كنّا نُرَجِّي ... هنيئاً يا بَنِي الدُّنيا هنيّا

عدد الحصص 1

الرثاء

الأهداف

1. أن يلخص الطالب أسباب ذيوع شعر الرثاء في العصر العباسي الثاني.
2. أن يذكر الطالب بعض شعراء الرثاء في العصر العباسي الثاني.
3. أن يقرأ الطالب ستة أبيات شعرية نظمها (التهامي) في رثاء ولده عن ظهر القلب.

من الأغراض الشِّعريّة الواسعة في هذا العصر الرّثاء، ويلاحظ أنَّ المعاني فيه لا تكاد تخرجُ عمّا درجَ عليه الشِّعراءُ السَّابقون من ذكر مآثر الفقيد، وما خَلّف من حزنٍ وأسىً في القلوب. ويعدُّ (أبو الحسن التُّهاميَ) من الشِّعراء المتميزين في الرّثاء. فله أربعُ مرثيّات في ابنه (أبي الفضل) تفيض بالصّدق الممزوج بالألم الشديد، ولعل أكثرها شهرةً قصيدته التي استهلَّها بقوله:

للحفظ

حُكـمُ المَنيَّـةِ في البَرِيَّـةِ جـارِي
مـا هـذهِ الـدُّنيا بِـدارِ قـرارِ

طُبِعَـتْ علـى كَـدَرٍ وأنـتَ تُرِيـدُها
صَـفواً مِـنَ الأقـذاءِ والأَكـدار

العـيشُ نـومٌ والمنِيَّـةُ يَقْظَـةٌ
والمـرءُ بينهُمـا خَيـالٌ سـارِي

فاقضُـوا مـآربَكم عِجـالاً إنّمـا
أعمـارُكُم سَـفرٌ مِـنَ الأسـفارِ

ومن الملاحظ في هذا العصر رثاء العلماء والأدباء بقصائدَ تصوِّرُ خسارةَ الأمّة فيهم، وخلوَّ ساحةِ المعرفةِ منهم.

وكان لِرثاء أبطالِ الإسلام في الحروب الصليبيَّة وتمجيدِ مآثرهم نصيبٌ وافرٌ من الشِّعر، لا سيّما في رثاء عماد الدين زنكي ونور الدّينِ محمود وصلاح الدّين يوسُف بن أيوب. وقد شاركَ المتنبيّ في الرِّثاء بمجموعة قصائد، ولعلّ من أجلِّها وأكثرها إثارة مرثيَّته، في جدَّتهِ التي عُنيت بتربيته، وأظلَّته بعطفها وحنانها، بعد وفاة أمِّه وهو حدَثٌ صغيرٌ.

كان المتنبي يحبَّ جدَّته وهي تحبُّه، وحينما فارقهَا تألَّمت وجزعت وكادت أن تيأس بعد طول الغيبة، فكتب إليها كتاباً فرحت به وأكبَّت على تقبيله حتَّى أصابتها الحمَّى من فرط السُّرور فماتت، وكان لهذه الحادثة أثرٌ كبيرٌ في نفسه، دفعته إلى نظم قصيدةٍ تطفح بالحزن والأسى على فقيدته.

ومنها قوله:

لـــــكِ اللّهُ مِــــن مَفجوعَـــــةٍ بحبيبِهـــــا
قتيلـــــةِ شــــوقٍ غـــــيرَ مُلْحِقِهـــــا وَصْـــــما

أحـــــنُّ إلى الكــــأسِ التـــــي شَـــربْتِ بِهـــــا
وأهـــــوى لِمثواهـــــا التُّــــراب ومـــــا ضَـــــمّا

بكيـــــتُ عليهـــــا خِيفَــــةً في حياتِهـــــا
وذاقَ كِلانـــــا ثُكْـــــلَ صـــــاحِبِه قِـــــدْما

أتاهـــــا كِتـــــابي بعـــــد يـــــأسٍ وتَرْحَــــةٍ
فماتـــــت سُـــــروراً بـــــي فَمُـــــتُّ بهـــــا غَمَّـــــا

حـــــرامٌ علـــــى قلبـــــي السُّـــــرورُ فـــــإنَّني
أعُـــــدُّ الّـــــذي ماتَـــــتْ بـــــه بعـــــدَها سُـــــمّا

أسئلة المناقشة

1. عرّف الرّثاء؟
2. ما هي الطبقة التي نالت القسط الأكبر من شعر الرّثاء؟

أنموذج لشعر الرّثاء

عدد الحصص 2

الأهداف

1. أن يلخص الطالب سيرة حياة الشاعر الرفاء.
2. أن يقرأ الطالب ثمانية أبيات شعرية نظمها (الرفاء) في رثاء أحد أصدقائه عن ظهر القلب.

السريّ الرفاء

هو السريُّ بن أحمد بن السري الكندي، يُكنَّى بـ (أبي الحسن)، ويُعرف بـ(السريّ الرفّاء)؛ لأنَه كان يرفو الثياب ويطرزها في صباه.

وهو عربيٌّ من قبيلة كندة المشهورة، وقد افتخر بها في شعره. ولد في مدينة الموصل في العقد الأوّل من القرن الرابع للهجرة، وتعلّمَ القراءة والكتابة في الكتاتيب، ثم درس القرآن الكريم والحديث الشَّريف وشيئاً من النّحو واللغة والأدب. وحينما اشتغل في أحد دكاكين الرفّائين لم ينقطعْ عن التّعلُّم والتثقف وحضور مجالس العلماء والأدباء والإفادة منهم. وكان ينتهزُ الفرص لمطالعة الكتب وحفظ الشِّعر حتى برز شاعراً متمكناً من ناصية القريض، إلى أن أدركته المنية سنة(362هـ). وترك من بعده ديواناً شعرياً.

وشارك السريّ الرفّاء في شعر الرّثاء، غيرَ أنه لم يأتِ فيه بجديد، بل قلَّد القدامى في معانيهم وصورهم، ولعل أجود ما قال في هذا المجال قصيدة في رثاء قوم من بني شيبان صُلبوا، وكان فيهم صديق مخلص له يكنَّى أبا الفضل، وكان الوقت شديد الحرُ، فلمَّا ضربت أعناقهم جادت السَّماء بوابل مدرار من المطر[1]:

---

(1) لا يجوز بحالٍ أن نقولَ إنَّ السّماء أمطرت أو أن الشمس كُسفت حزنًا لموت أو فرحاً بحياته بدليلِ قول النّبي ﷺ «إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرْسِلُهَا يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ، وَدُعَائِهِ، وَاسْتِغْفَارِهِ» صحيح ابن خزيمة1371.

للحفظ

أبـــا الفضـــلِ غَالتْـــكَ الخُطُـــوبُ ولم يكـــنْ
لِيعـــــدمَ ذو الإفضــــالِ منهـــــا الغَـــوائِلَا
فأصــــبحتَ مســــلوبَ القَمــــيصِ وطالمَــــا
حَمَلْـــتَ علـــى قُمْـــصِ الحديـــدِ الحَمـــائِلا
وحولـــكَ مِـــن بكـــرِ بـــنِ وائـــلَ فتيَـــةٌ
إذا عُـــدَّ أهـــلُ الفَضـــلِ كـــانوا الأوائـــلا
أصـــابهُمُ رَيـــبُ الزَّمـــانِ وإنَّمـــا
أَصـــابَ مِـــنَ العلُيـــا ســـناماً وكـــاهلا
كـــأنَّهُمُ في الليـــلِ رَكْـــبٌ تحيَّـــروا
فجـــدُّوا مـــن السَّـــيرِ الحثيـــثِ الحبـــائلا
تلقّـــاهُمُ حـــرّ الهجـــيرِ برأفـــةٍ
تُخَيّـــلُ أوقـــاتَ الهجـــيرِ أصـــائِلا
وأضـــحى الحيـــا في غَـــيرِ حـــينِ أوانِـــهِ
رذاذاً علـــى تلـــكَ الجُســـومِ ووَابـــلا
كـــأَنَّ السَّـــماءَ اســـتعبرتْ لِمصـــابِهمْ
فمـــا ملكـــتْ فيـــه الـــدُّموعَ الهَـــوَاملا

الوصف

الأهداف

عدد الحصص 1

1. أن يتذكر الطالب العناصر والأشياء التي عني بوصفها الشعراء في العصر العباسي الثاني.
2. أن يقرأ الطالب الأبيات الشعرية قراءة معبرة.
3. أن يعدد الطالب أسماء بعض الشعراء الذين برعوا في الوصف في العصر العباسي الثاني.

الوصف من الموضوعات الشِّعرية الهامّة التي عالجها الشّعراء منذ عصر ما قبل الإسلام، وأخذ الوصف يتطور بمرور الزمان، حيث اتّسع أُفقه، وكثرت أشكاله وألوانه، وقد وصل في العصر العبَّاسيّ الثّاني مرحلة مزدهرة، شمل الإنسان والحيوان والنبات، وجميع مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية، وتناول الأدوات العلمية والكتابية والآلات الحربية والقتالية...

وقد حظيتِ الطبيعة بنصيب وافر من الشّعر، إذ وصف الشِّعراءُ السّحابَ والمطرَ والأنهار والبِرَك والرّياض والأزهار والأشجار والثُّمار والليل والأفلاك، والمآكل والمشارب، والدُّورَ والقصورَ، والفُرُشَ والأثاثَ وأدواتِ الزّينة وسواها. وخيرُ مثال للطَّبيعة الزَّاهية برياضها وأزهارها البهيَّة وثمارها الشَّهيَّة نجده في قصيدة ابن وكيع التّنيسيَ(2):

أسفرَ عن بهجتِه الدَّهرُ الأغَرّ
وابتَسَمَ الرَّوضُ لنا عنِ الزَّهرْ
أبدى لنا فَصْلُ الرَّبيع منظرًا
بمثلِه تُفتَنُ ألبابُ البَشَرْ

(2) هوأبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي المعروف بابن وكيع التنيسي الشاعر المشهور؛ أصله من بغداد ومولده بتنيس. ذكره أبو منصور الثعالبي في "يتيمة الدهر"، وقال في حقه: "شاعر بارع، وعالم جامع، قد برع على أهل زمانه، فلم يتقدمه أحد في أوانه، وله كل بديعة تسحر الأوهام، وتستعبد الأفهام"، وذكر مزدوجته المربعة، وهي من جيد النظم، وله كتاب بين فيه سرقات أبي الطيب المتنبي سماه "المنصف"، وكان في لسانه عجمة، توفي سنة (393هـ).

وشْياً ولكنْ حاكَهُ صانِعُهُ
لا لِابتذالِ اللُبْسِ لكنْ للنَّظَرْ

عاينَهُ طرفُ السّماءِ فانثنَى
عِشقًا لهُ يبكي بأجفانِ المَطَرْ

فالأرضُ في زِيٍّ عروسٍ فوقها
مِن أدمعِ القَطرِ نِثارٌ مِن دُرَرْ

وشيٌ طواهُ في الثَّرى صِوانُهُ
حتَّى إذا مَلَّ مِنَ الطَّيِّ نَشَرْ

أخجلَهُ النَّرجسُ إذْ جادلَهُ
فاحمرَّ مِن فَرْطِ حياءٍ وخَفَرْ

قال لهُ: العينُ وما الخدُّ لها
مُوازنًا في عُظْمِ قَدْرٍ وخَطَرْ

ماذا الذي يرجى لخدٍّ بَهِجٍ
مُستحسنٍ صاحبُه أعمى البَصَرْ

وانظر إلى النَّارنج في بهجته
يلوحُ في أفنانِ هاتيك الشَّجرْ

مثلَ دنانيرِ نضارٍ أحمرٍ
أو كعقيقٍ خُرِطَتْ منه أُكَرْ[3]

وانظرْ إلى المنثورِ في ميدانه
يرنو إلى النَّاظرِ مِن حيثُ نَظَرْ[4]

كجوهرٍ "مختلفٌ ألوانُهُ"[5]
أسلمه سِلْكُ نظامٍ فانْتَثَرْ

---

(3) النضار: الذهب، الأكر: الكرات
(4) المنثور: نبات جميل طيب الرائحة، وله زهر مختلف، بعضه أبيض وبعضه أصفر.
(5) اقتباس قرآني من قوله تعالى﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل:69.

ويسترسل الشّاعر بعد هذه الأبيات في قصيدةٍ طويلة، وبلغة سهلة مأنوسة، يصف أنواعاً كثيرة من الأزهار والأثمار بألوانها البديعة، ويقدِّمها للقارئ في ثوب مشرق بهي تطيب له النفس، وينشرح له الصَّدر.

لم يتركِ الشِّعراء فاكهةً إلاَّ وصفوها وصفاً دقيقاً، وشبَّهوها تشبيهات لطيفةً تليق بشكلها ولونها وطعمها كالنارنج والسفرجل والكمّثرى والرُّمَّان والتُّفَّاح والعنب... ومثال على ذلك أرجوزة أبي الحسين الممشوق في المشمش:

أما ترى المُشمشَ يا خلَّ الأدب
مُشطَّبًا أكرمْ بهاتِيكَ الشُّطَبْ
مثقَّبَ الهاماتِ مِن غيرِ ثُقبْ
كأنَّها بنادِقُ مِنَ الذَّهَبْ
قَد صاغها صائِغُها بِلا تعَبْ

واستحسن الشِّعراء منظرَ الأنهار والجداول والبحيرات وخرير المياه وانسيابها ووصفوها أحياناً مع ضوء القمر الجميل في الليالي الصافية. قال أبو منصور الثعالبيَّ: (وقد أكثروا في وصف القمر على الماء... وأحسن ما سمعت فيه- على كثرته- قول (القاضي التنوخي):

أحسِنْ بِدِجلَةَ والدُّجَى متصوِّبُ
والبَدرُ في أُفُقِ السّماء مُغرِّبُ
فكأنَّها فيه بِساطٌ أزرقٌ
وكأنَّه فيها طِرازٌ مُذْهَبُ

وانبهر الشِّعراء بمنظر الثَّلج. وتفنَّنُوا في وصفه. وفي بيان جمال حبَّاته الكرويَّة البيضاء الشَّبيهة باللؤلؤ المنثور على بساط الأرض، منهم (أبو بكر الصَّنوبريِّ) الذي قال في وصفها:

ذَهَبْ كؤوسُك يا غُلا
مُ فإنَّه يومٌ مُفضَّضْ
والجوُّ يُجلى في البَيا
ضِ وفي حُليِّ الدُّرِّ يُعْرَضْ
أظَنَنْتَ ذا ثلجًا وذا
وَردًا مِنَ الأغصان يُنْفَضْ
وردُ الرَّبيع مُلوَّنٌ
والوردُ في كانونَ أبيضْ

وعُنِيَ الشِّعراء بفصول السنة من شتاء وربيع وصيف وخريف، وعقدوا مقارنات بينها، وأقاموا بينها مفاضلاتٍ. ويُعَدُّ ابن وكيع التنّيسي من كبار شعراء هذا اللون من النظم. إذ نجد له مزدوجة طويلة تجاوزت مئة بيت. تناول فيها سماتِ كلّ فصل ومزاياه وتأثيره على النَّاس بلغة ميسورةٍ وأسلوب واضح، وكأنَّه درس في الجغرافيَّة والاجتماع. إليك ما قاله بعد أن استوفى حديثه الشَّيق عنها:

دونَك هذهِ صفةُ الزَّمان
مشروحةٌ في أحسنِ التِّبيان
فاصغَ نحوَ شرحِها كَي تَسمَعا
ولا تكُن لِحقِّها مُضيِّعا
وارضَ بتقليدي فيما قُلتُهُ
فإنَّني أدرى بما وصفتهُ

ولم يكتف الشِّعراء بوصف الطَّبيعة السَّاكنة بمظاهرها المختلفة، بل التفتوا إلى الطَّبيعة الحيَّة أيضاً، ووصفوا ما وقع بصرهم عليه من حيوانات وطيور وحشرات مثل الحصان، والنَّاقة، والكلب، والذِّئب، والأسد، والفهد، والفيل، والهر، والسمك، والديك، والببغاء، والصقر، والنمل، والنحل، والبعوض، والبرغوث... ولعلَّ أطرف ما نلحَظه في هذا اللون من الوصف (الفيليّات)، وهي قصائد اتفقت في الوزن، وهو (مجزوء الكامل) والقافية، وهي (الدَّال)، فقد تضافر مجموعة من الشِّعراء في نظمها، منها قصيدة أبي الحسن الجوهريَ التي تناولت الفيل، ووصفت جميع أعضاء جسمه وصفاً ظريفاً منها الأبيات الآتية:

يُزهى بِخُرطومٍ كَمِثـ ... ـلِ الصَّولجانِ يُـرَدُّ ردا
متمردٌ كالأُفعُوا ... نِ تمدُّهُ الرَّمضاءُ مدا
وكأنَّه بوقٌ تُحرِّ ... كُهُ لِتنفخَ فيه جدا
أذناهُ مِروحتان أسـ ... ـنَدَتا إلى الفَوْدَين عَقَدا
عيناهُ غائرتان ضُيِّـ ... ـقَتا لِجَمعِ الضَّوءِ عَمْدا

وكان السّريّ الرفّاء يهوى الأماكن القريبة من الأنهار. ولذلك كثر وصفه للأشياء التي تحيط بها كالأشجار والأزهار والثمار، أو التي تقوم عليها كالجسور والدواليب، أو التي تجري فيها كالسَّفن والقوارب، وامتاز بلون طريف آخر يتصل بالأنهار، وهو وصف السَّمك، فإنَّه كان يبكُر لصيده مسروراً مع طلوع الفجر، ويتمتَّع بمنظر الطَّبيعة الجميلة، وإليك اللوحة الآتية التي تكشف لك عن صيَّادٍ ماهرٍ يلقي شباكه في النَّهر، ويستخرج سمكاً شبيهاً بالمدى أو بصغار الخناجر:

والصُّبحُ حُمِّلَ بينَ أحشاءِ الدُّجى

والـــــريِّحُ كـــــالرَّاحِ نـــــأى عنهـــــا القَـــــذى
يــــــنُمُّ ريَّاهــــــا علـــــى زَهــــرِ الرُّبـــــى
بِـــــذاتِ أحـــــداقٍ تَـــــرى مـــــا لا يُـــــرى
مـــــلاءةٍ مـــــا نُسِـــــجَتْ لتُرتَـــــدى
تُريـــــكَ ضُـــــعفًا ظـــــاهراً وَهْـــــوَ قُـــــوَى
وجِـــــدَّةً تحســـــبُها العـــــينُ بِلـــــى
غـــــبراء كالـــــدِّرع تغشَّـــــاها الصَّـــــدا
تعـــــومُ في أبـــــيضَ كـــــالالِ صَـــــفا
تَرْسُـــــبُ في أحشـــــائه صُـــــفرُ الحشـــــا
فتَعتلَـــــي منـــــه بأحشـــــاءِ مِـــــلا
تَضْـــــحكُ عـــــن مِثْـــــلِ صـــــغيراتِ المِـــــدى
كأنهـــــا عِقْـــــدُ لآلٍ قـــــد وهـــــى
أو عـــــن نقـــــيِّ الـــــبطنِ موشـــــيٍّ القَـــــرى

وتجدرُ الإشارة في هذه الدراسة الموجزة إلى شعره الذي نظمه شوقاً وحنيناً إلى الموصل، فلو أنعمنا النَّظر في القصائد التي خصَّصها لهذا الغرض لرأيناها تنسابُ بعواطف جيَّاشة، ما يدلُّ على تعلُّقه الشَّديد بمسقط رأسه ومرتع صباه ومربع شبابه، ووفائه للمدينة التي درجَ في أكنافها، وشمَّ عبير العطرِ الفَّواح من المروج والحدائق التي تحيط بها.



أنموذج لشعر الوصف

أبو الطيب المتنبي

1. أن يلخص الطالب سيرة حياة المتنبي.
2. أن يقرأ الطالب الأبيات الشعرية قراءة معبرة.
3. أن يعطي الطالب معاني بعض الكلمات الواردة في القصيدة.
4. أن يقرأ الطالب ثمانية أبيات شعرية نظمها (المتنبي) في وصف الحُمَّى عن ظهر القلب.
5. أن يذكر الطالب بعض آراء النقاد عن قصيدة المتنبي.
6. أن يقدم الطالب تعليقاً نقدياً لأبيات شعر المتنبى فى الوصف.

لم يَحظَ شاعرٌ من شعراء العرب بالاهتمام والدَّراسة قديماً وحديثاً بقدر ما حَظِيَ به (أبو الطيبِّ المتنبَي). ولعلَّ شهرته في مملكة الشِّعر جاءت من جودة نظمه الذي يسحر القارئ، ويجعله مُنقاداً له في رضى وإعجابٍ. فضلاً عن ذلك (إنه ينطق عن خواطر الناس) كما قال القاضي الفاضل.

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين من سلالة عربية صميمة، ولد بالكوفة سنة (303 هـ) في محلة كندة، من أبوين فقيرين، ونشأ بها، وتعلَّم في كتاتيبها، ثمَّ نَهَلَ ما تيسر له من العلوم العربية المختلفة، وارتأى الخروجَ إلى البادية، واتَّصل ببعض القبائل العربية، فصحَّ جسمُه، وصفا ذهنه، وأخذ عنها اللغة، واكتسب الفصاحة، وعشق الحرية فَفَصُح لسانُهُ.

وكان الشِّعر يترددُ على لسانهِ، وينساب قوياً هادراً، فأعْجِبَ به كثيرٌ من أبناء القبائل، ويبدو أَنَّهُ تَسَّرب إلى أسماعِ بعضِ الحكام في بلاد الشام، أن الشاعر كان يتعاظم في شعره، ويدعو إلى أمور قد لا يحتملون سماعها، ولا يلتمسون له فيها عذراً، فأوجسوا منه خيفةً، وزاد الأمر حَرجاً اتهام الشَّاعر بادِّعاء النُّبوَّة، فرمي به في السِّجن، وسيئت معاملته، وطال مكثه فيه.

ثم أُطلقَ سراحُه بعد أَن وهنت قوَّته، وكَذَّبَ ما أُلصقَ به من تهمة، وتنصَّلَ الشَّاعر مما لُفّقَ ضدَّه فأخذَ ينتقلُ بين المدنِ قاصداً من يراه جديراً به من الرجال.

كان المتنبي منذ نشأتهِ، كبيرَ النفس، عالي الهمة، عفيفاً عَزُوفاً عن اللَّذات، مشغولاً بطموحِه إلى المجد، محباً لقومه، كمَا كان حاد الذكاء قوي الحافظة، متضلِّعاً في اللغة، وله في كلِّ هذه حكاياتٌ معروفَةٌ تدلُّ عليها.

وهو أكثر الشِّعراء حفاوةً بالأمثال والحِكَم، حتَّى كادت تطغى على أكثر ما أثر له من شعر، وقُدِّرَ له أَنْ يَعرض هذه الأمثال والحِكَم عرضاً أدبيًّاً رائعاً، بحيثُ دارت على ألسنة النَّاس في كلِّ وقتٍ وكلّ مناسبةٍ؛ وذلك لأَنَّهُ استطاع تطويعها للتَّعبير عن (طبائع النَّفس ومشاغل النَّاس، وأَهواء القلوب، وحقائق الوجود، وأغراض الحياة).

وفي شعرهِ إحساسٌ عميقٌ بالحماسة والفروسيَّة قلَّ أن نجدَ له نظيراً في شعر سواه، وهو يَظْهرُ واضحاً في أكثر فنونه الشِّعريَّة، لا سيَّما المدح والفخر والوصف والرثاء والغزل.

وفي شعرهِ شيءٌ من التَّعقيد اللفظي، ولعلَّ مردَّ ذلك إلى ثقافتهِ اللغويَّةِ الواسعةِ التي اكتسبها من حياة البادية التي عاشَ فيها مطلع حياتهِ وإلى ثقته ومقدرته على الإحاطة والشُّمول بالعلوم العربيَّة المختلفة.

برع المتنبي في كلُ الفنون الشِّعريّة التي طرقها. وأجادَ كثيراً في الوصف، ولا سيَّما وصف المعاركِ الحربيَّةِ التي كان يخوضها سيفُ الدولة، فقد صوَّرها تصويراً حَيّاً رائعاً، وعُرفَ بقدرتهِ الفائقةِ في هذا اللون من الشِّعر، كما أجادَ في أغراضٍ شعرية أخرى: كالمديح... والفخر والرّثاء والهجاء والشَّكوى والحكمة.

قُتل المتنبِّي وابنه وغلامه وكان ذلك لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة(354هـ)، له ديوانٌ مطبوعٌ، وقد تزاحم عليه الكثيرُ من الشَّارحين.

قال أبو الطَّيب المتنبِّي في وصف الحُمَّى:

للحفظ ثمانية أبيات

وزائِرتي كأنَّ بها حَياءً
فليس تَزورُ إلاَّ في الظَّلامِ

بَذلتُ لها المطارفَ والحَشايا
فعافَتْها وباتَتْ في عِظامي

يَضيقُ الجلدُ عن نَفَسي وعنها
فتُوسِعُهُ بأنواعِ السَّقامِ

كأنَّ الصُّبْحَ يطردُها فتَجري
مَدامِعُها بأربعةٍ سِجامِ

أراقبُ وَقْتَها من غيرِ شوقٍ
مراقبةَ المَشُوقِ المُسْتَهامِ

ويَصْدُقُ وعدُها، والصدقُ شرٌّ
إذا ألقاكَ في الكُرَبِ العظامِ

أ بِنْتَ الدَّهرِ عندي كلُّ بِنْتٍ
فكيفَ وَصَلْتِ أنْتِ مِنَ الزِّحامِ

جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لمْ يبقَ فيه
مكانٌ للسُّيوفِ ولا السِّهامِ

ألا يا ليتَ شِعْرَ يَدي أتُمسي
تَصَرَّفُ في عِنانٍ أو زِمامِ

يقولُ لِيَ الطَّبيبُ أكلْتَ شيئًا
وداؤكَ في شَرابِكَ والطَّعامِ

وما في طبِّه أنِّي جَوادٌ
أضرَّ بجسمه طُولُ الجَمامِ
تعوَّدَ أنْ يُغبّر في السَّرايا
ويدخُلَ من قتامٍ في قَتامِ
فأُمسِكَ لا يُطالَ له فيرعى
ولا هو في العَليق ولا اللجامِ
فإنْ أمرضْ فما مَرِضَ اصْطباري
وإنْ اُحْمَمْ فما حُمَّ اعتزامي

اللغة

المطارف: جمع مِطرف، رداء من خزّ (ثوب من حرير).

الحشايا: جمعِ حشِيّة. ما حشي من الفراش ممَّا يُجلس عليه.

السِّقام: المرض.

سجام: منسكبة، سجمَ الدَّمع، سال وانسكب.

المستهام: الشَّديد الشَّوق.

الكُرب: جمع كربة، وهي الشدة والمصيبة.

أبنتَ الدهرِ: بنات الدهر شدائده.

الجمامِ: الراحة. (أن يترك الفرس فلا يركب).

يُغَبّر: يثير الغبار في المعارك.

السرايا: جمع سرية. وهي القطعة من الجيش.

القتام: غبار المعارك.

لا يطال له: أي لا يطال له حبله ليتمكّن من الرَّعي. ولا هو في السَّفر، فيعلف من المخلاة المعلَّقة في رأسه لإطعامه.

التعليق النقدي

هذه الأبيات– عزيزي الطّالب– اقتطعناها لك من قصيدة، عُدَّتُها اثنان وأربعون بيتاً، قالها المتنبي سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائةٍ للهجرة، بمصر، وكان طريح الفراش بسبب حمّى أصابته، وهو يهمُّ بالرَّحيل عن مصر بعد أن ساءت علاقته بحاكم مصر آنذاك، كافور الإخشيديّ.

فالبيت الأول في قطعتنا المختارة سبعةُ وعشرون بيتاً في ديوان المتنبّي، يتحدَّث الشّاعر فيها عن فروسيَّته، وأنسه بالصَّحراء، ومعرفته بحقيقة الناس وزيف مشاعرهم، وفخره بفضائله وحسبه، لا بنسبه، ويأسف لما صار عليه الناس من لؤم وحسدٍ لا يناسب أحياناً أصولهم الكريمة، ثم يشكو مما اعتراه من ضعف ووهن مع قلة الصديق وكثرة الحاسد وصعوبة المرام والطلب.

وهو بهذا الوصف لحالته النفسية الملأى بالإحباط المفعمة بالمرارة والخيبة، يمهد للمقطع التالي (وصف الحمَّى).

وهذا التمهيد حافل بأبيات الحكمة المشحونة بالعاطفة القوية، ونحن ندعوك إلى مراجعتها في ديوانه. (المقطع المختار): وصف الحمَّى.

يتحدَّث المتنبي عن زائرةٍ تزوره سَّراً، وقد أدمنت زيارته، حتَّى صارت كأنها مختصَّة به، لذلك أضافها إلى نفسه فقال وزائرتي، وهي تستحي من زيارته، فتأتيه في جنح الظّلام وتتسلل إليه، ولما كان الشاعر كريماً، يحسن رفادة الضيف فقد بذل لها أجمل ثيابه وأوثر فراشه، فأبت ذلك وعافته، مختارة أن تبيتَ في عظامه، (والحمَّى تظهر آثارها في الجلد أولاً بارتفاع الحرارة فيه، فإذا اشتد أثرها صارت إلى العظام).

إن جلد الشاعر يضيق بنفسه وبها، بفرط الأذى الذي أحدثته له، ولكنَّها تقابل ضجره منها مزيد من الآلام والأسقام حتَّى إذا جاء الصَّباح تسلَّلت من مخبئها– كما يتسلَّل اللصَّ المختبئ خوف الفضيحة، وكأنَّ الصَّبحَ طاردٌ

لها، وهي إذا تكره مفارقة صاحبها تبكي لألم الفراق بمدامع صاحبها الأربعة، (لحظيه وموقيه، والأصل في البكاء أن يكون من موقي العين، فإذا كثر صار من اللحظين أيضاً)، وهو يريدُ بهذا كثرةَ العرق المتصبّب بسبب الحمىّ.

ويتكرّرُ هذا اللقاءُ وهذا الفراقُ كلَّ يوم وليلة. وهو يَرْقُبها مراقبةَ المشوقِ المستهام بها، لكن من غير شوقٍ ولا رغبةٍ باللقاء، وتلك مفارقةٌ وهي لا تَخْلفُ وَعْدَها، ولا تكذبُ صاحبها، وليتها أخلفتْ وكذبتْ لأن هذا الصدقَ شرُ أيَّ شرٍّ، حين يلقيك في الشّدائد والمحنِ.

ثم يلتفتُ الشاعر إليها مخاطباً، فيكشفُ لنا عن اسمها أو كنيتها.

فيسألها (أبنت الدهر)، مستعملاً همزة النّداء التي تختصَ بنداءِ القريبِ، مكاناً أو مكانةً. وكيفَ وصلتْ إلى قلبهِ المزدحمِ بالمصائب والخطوب، وهي واحدة منها مستعملاً التوكيد اللفظي بالضمير (أنت) لإبراز خصوصيَّتها.

ثم يَسْخَرُ منها: لا تظنّي أنَّكِ انتصرتِ عليَّ. ولا تقولي أنكِ صرَعْتِ رجلاً عركتْهُ الأسفارُ، والأخطارُ. لا، لقد جئتِ رجلاً كثيرَ الجراحِ، لم تتركْ السُّيوفُ والسّهامُ فيه موضعاً لغيرها.

ويعودُ الشَّاعرُ إلى نفسهِ، والحديثِ عنها وعن أمنياتها. فيقول ليتَ شعري هل تُمْسِكُ يدي عنانَ الفَرَسِ في الحرب، أو زمامَ النَّاقةِ في السَّفر مرَّةً أخرى؟ ثمَّ يخبرنا بأسلوب متهكّم متوجِّع معاً:

يقـــــول لي الطَّبيـــــــبُ أكلْـــــتَ شـــــيئًا

وداؤكَ في شـــــــــرابِك والطَّعـــــــــــامِ

وهذا الطبيبُ قد أخطأ في تشخيص المرضِ ومعرفة الدَّاء فهل يحسن وصف الدَّواء. إنَّه جوادٌ أضرَّتْ به الرَّاحة، ومنعهُ من الاضطرابِ والحركة، وهو المتعوّدُ على أن يثير غبارَ المعاركِ ويخرج من غبرة إلى غبرة، ثمَّ ها هو طريح فراشه– فلا هو مسموح له بالحركة ليتحرك، ولا هو قد أحسن إليه، فيقرَّ

في مكانه، وهو بهذا يصوِّر حالتهُ مع كافور، الذي اختار بعد ذلك بوقت يسير أَنْ يفرَّ منه، ويكتبَ قصيدته المشهورة:

عيـــــدٌ بأيَّـــــةِ حـــــالٍ عـــــدْتَ يـــــا عيـــــدُ

بمـــــا مضـــــى أم لأمـــــرٍ فيـــــكَ تجديـــــدُ

ويسترسلُ الشَّاعرُ في قصيدته التي يصف بها الحمَّى مؤكِّداً قوَّة عزمه، وجميل صبره على البلوى:

فـــإِنْ أمـــرَضْ فمـــا مـــرضَ اصـــطباري

وإنْ أحمـــمْ فمـــا حُـــمَّ اعتزامـــي

هذه القصيدة من مختارات شعر المتنبي- وشعرهُ كلُّهُ جيِّدٌ مختار- اخترناها لفرادة موضوعها، إذ لم يتطرَّق الشُّعراء إلى هذا المعنى- وصف الحمّى- إلا المتنبِّي وعبد الصَّمد بن المعذَّل قبله، لكنَّ قصيدة المتنبي تفوقُ قصيدة ابن المعذَّل في حسن نظمها وجودة ألفاظها؛ ولأنَّه تنكَّبَ معاني ابن المعذَّل، وقال غيرها.

قال عنها القاضي الجرجانيَّ:

(فأحسن وأجاد وملح واتسع...) في كتابه (الوساطة بين المتنبُي وخصومه).

والقصيدةُ، بعد ذلك، مفعمة بالحكمة، مشحونة بالعاطفة التي هي مزيجٌ من الشعور بالقوةِ والخيبةِ والمرارة تُمثّلُ أصدق تمثيل قيم المروءةِ العربية في الفتوّةِ والصَّبرِ على المكارهِ والطموحِ إلى الكمال المستطاع يقول فيها في المقطع الذي مهّد فيه لوصف الحمّى:

عَجِبْـــــتُ لمـــــن لـــــه قـــــدٌّ وحـــــدٌّ

وينبُـــــو نَبْـــــوَةَ القَضِـــــمِ الكَهَـــــامِ

ومَـــــنْ يجـــــد الطَّريـــــقَ إلى المعــــالي
فــــلا يَـــذَرُ المطـــيَّ بـــلا سَـــنام

ولم أرَ في عيـــوبِ النَّـــاس شـــيئاً
كـــنقصِ القـــادرينَ علـــى التَّمـــام

فهو يعجب ممَّن يجدُ القدرةَ في نفسهِ ولا يسعى إلى الكمال.

إنَّ أسلوب المتنبِّي في هذه القصيدة وسواها يعتمدُ على المفارقةِ الغريبة والاستعارات غير المألوفة، واللغة الجزلة الفصيحة، المتدفِّقة المفعمة بالعواطف الحارَّة، والحكمة المستقاة من تجاربهِ الأليمةِ وخبرته بالناس والأشياء، وحسن اختياره لمطالعه وقوافيه وأوزانه: الملائمة لمعانيه وأغراضه.

فلا شكَّ إنَّكَ تلاحظ ما لحرف الميمِ المكسورةِ من قدرةٍ على الإيحاء بالصَّوت المنكسر الموحي بالضعف، وهو ما يناسب حالة الشاعر في ضعفهِ ومرضهِ.

يدلُّ على ذلكَ أنْه اختارَ في مطلعهِ:

ملومُكمـــا يَجِـــلُّ عـــن المَـــلام
ووَقْـــعُ فَعَالِـــهِ فَـــوقَ الكَـــلام

لفظة (ملومكما) والشَّائع عند الشُّعراء استعمال لفظة (العذل بدل اللوم) إلا أنه أراد الإيحاء الصَّوتيَّ المناسب لحالة الحزن والانكسار، فضلاً عن كون العذل أشَدُّ من اللوم في الدّلالة.

أسئلة المناقشة

1. ما مكانةُ هذه القصيدة عند النقادِ العرب؟
2. ما سبب اختيارها لتكون أنموذجاً لشعر المتنبي؟
3. هل لموضوع القصيدة خصوصية بين موضوعات الشِّعر؟
4. كيفَ وجدت أسلوب المتنبي؟
5. اخترْ من بين الأبيات بيتاً أعجبك، وبيِّن سبب إعجابك به.
6. ما المناسبةُ التي أوحتْ للشاعر هذه القصيدة؟

عدد الحصص 1

أبو بكر الصنوبري

الأهداف

1. أن يلخص الطالب سيرة حياة الشاعر الصنوبري.
2. أن يقرأ الطالب الأبيات الشعرية قراءة معبرة.
3. أن يقرأ الطالب خمسة أبيات شعرية نظمها (الصنوبري) في وصف الثلج قراءة جيدة عن ظهر قلب.

اشتهر كثير من الشِّعراء في أدبنا العربي بلون من ألوان الأدب أو بشكل من أشكاله. مثل أبي العتاهية في زهدياته. وأبي فراس في رومياته. والشريف الرضي في حجازياته. والصنوبري في روضياته...

سيرته

هو أحمد بن محمدٍ بنِ الحسن بن مرار الضَّبيُ، يكنى (أبا بكر)، وقد غلبت عليه نسبة (الصنوبريّ). زعم هو نفسه أنَّ جدّه كان صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون فجرت له بين يديه مناظرةٌ، فاستحسن كلامه وحدَّة مزاجه، وقال له: (إنَّكَ لصنوبري الشكل، يريد بذلك الذكاء وحدة المزاج). وقيل: إنه لقب به إشارةٌ إلى صورته المخروطية التي تشبه ثمرة شجرة الصنوبر. ونراه يفخر بهذا اللقب في شعره قائلاً:

إذا عُزِّينا إلى الصَّنوبَر لم
نُعْزَ إلى حاْملٍ مِنَ الخَشَبِ
لا بل إلى باسقِ الفروعِ علا
مُناسباً في أروْمَةِ الحَسَبِ

أما نسبه إلى قبيلة ضبَّة العربيَّة المشهورة، فقد افتخر به، فقال:

لـــــو لم يكـــــن لي في ذؤابــــــةَ خِنْــــدِقٍ
نَسَـــبٌ ســـــوى الآداب كنـــــتُ عريقــــا
أوَلَسْـــــتُ أطولَهـــــا فروعـــــاً في العُلَـــى
وأمـــــدَّها في المكرمـــــات عروقــــا
نحـــن الـــــذين بَنَـــتْ لنـــــا آباؤنــــا
مجـــــداً يَجُـــــوزُ بنـــــاؤُه العَيُّوقَــــا

ولد الصنوبري في أنطاكية. ونشأ وكبر في حلب، ولم تشر المصادر إلى سنة ولادته وإلى طبيعة الدراسة التي تلقاها، ولكن القارئ يستدل من مراجعة شعره أنه كان عارفاً بعلوم اللغة العربية وآدابها، وقد شهد الذين ترجموا له بتفوقه في ميدان المعرفة، قال أحدهم: كان إماماً بارعاً في الأدب، فصيحاً مفوَّهاً.

أجاد نظم الشِّعر وأحسن إنشاده، وأخذ يتنقَّل بين المدن الرَّئيسة مثل دمشق والموصل وحمص وطرابلس والرقة... ويُقدمُ شعره بين يدي أمرائِها وكبار رجالها ثم يعود إلى حلب.

عاش الصنوبري في يسر ونعيم في قصر منيف يحيط به بستان كبير فيه أنواع الأشجار والأزهار والرياحين، وكانت له صلات كثيرة مع عدد من العلماء والأدباء، مثل الشاعر كشاجم، والعالم اللغوي علي بن سليمان بن الأخفش الصغير، توفي سنة(334 هـ) وقد ناهز الستين من عمره.

وفتح الصنوبري الباب للشعراء في وصف الثلج والتغني بجمال منظره. لا سيما حينما يتساقط على الأرض كاللؤلؤ المنثور أو القطن المندوف، ويعدُّ الصنوبري أولَ من تغنى بالثَّلج وبدائعه، مثل قوله: (للحفظ)

تعـــــالى اللّهُ خـــــالقُ كـــــلِّ شـــــيء
بقدرَتِـــــــهِ وبـــــاري كـــــلِّ نفـــــسِ
لقــــــد أضـــــحَى جميــــعُ الأرضِ تجـــري
كواكبــــــــه بســــــعدٍ لا بـــــــــنحسِ
ألم تــــرَ كيـــــفَ قـــــد لبســـــتْ رُباهـــــا
مـــــن الـــــثَّلْجِ المُضـــــاعَفِ أيَّ لِـــــبس
ثيابــــــاً لا تــــــزالُ تــــــذوبُ لينـــــاً
إذا الأَيــــــدي عَرَضْـــــنَ لهـــــا بلَمْـــــسِ
كـــــأنَّ الغَـــــيمَ ممَّـــــا بـــــثَّ مِنـــــهُ
علـــــــى أرجائِهـــــا أنـــــداف بُرْسِ

وقد نالت الثَّلجيَّات إعجابَ شعراء العراق، وكان الصنوبري متدفقاً في عطائه الشِّعري بأسلوب واضح جلي، لا لبس فيه ولا غموض، وكانت الألفاظ والمعاني متناسقة عنده، وكثيراً ما يستعين بالتشبيهات والاستعارات في تحسين صوره وتوضيحها مع استخدام المحسنات البديعية، ولا سيَّما الجناس.

الشكوى أو (شعر الاستجداء)

عدد الحصص 1

الأهداف

1. أن يلخص الطالب مفهوم شعر الشكوى.
2. أن يعدد الطالب أسماء بعض الشعراء الذين اشتهروا بشعر الشكوى.
3. أن يقرأ الطالب الأبيات الشعرية قراءة معبرة.

عاشَ كثيرٌ من النّاس في شَظَفَ العيش، يتجرَّعون مرارة البؤسِ والحرمان وآلام الجوع والهوان وذلك لسوء الأوضاع الاقتصادية وتدهور الأوضاع السياسية، ولا سيما في القرن الرابع للهجرة، وقد لجأت فئة منهم- تحت وطأة الفقر- إلى الاستجداء والاحتيال على ابتزاز الأموال بطريقة خاصة، يُدْعَون (أهل الكدية أو الساسانيين)، وظهر فيهم شعراء مجيدون مثل أبي الحسن عقيل بن محمدٍ الملقب (بالأحنف) العكبري، ومسعر بن مهلل المعروف (أبي دلف الخزرجي)، كانوا يصورون في شعرهم الحالة المزرية التي هم فيها، وتنقلهم من بلد إلى آخر مشردين، يطوي بطونهم الجوع، هائمين بلا مسكنٍ، بلغةٍ تثير العطف والشَّفقة، وتستدرَّ العوز والمساعدة، مثل قول الأحنف العكبريّ:

العنكبوتُ بَنَتْ بيتاً على وَهَنِ
تأوي إليهِ ومالي مِثلُهُ وَطَنُ
والخنفُساءُ لها مِن جِنسِها سَكَنٌ
وليس لي مِثلَها إلفٌ ولا سَكَنُ

ويلمس القارئ في شعرهم انتقاداً، ولا سيَّما للفئة الحاكمة التي ملأت جيوبَها بالمال والجواهر، وتركت النَّاس في فقر مدقع مثل قول العكبري:

تــــــرى العِقيــــــانَ كالــــــذَّهبِ المُصَــــــفَّى
تَرَكَّـــــــبَ فــــــوقَ أثفـــــارِ الـــــــدَّوابِ
وكِيســــــي مِنــــــه خلْــــوٌ مثْــــلُ كفِّــــي
أمَــــا هــــذا مــــن العَجَــــبِ العُجــابِ؟

إنَّ رَفضَ الواقع الاجتماعي في ذلك العصر دفع عدداً من الشُّعراء أن ينظموا قصائد، مظهرين فيها معاناتهم في مجابهة الحالة المأساوية التي يمرون بها من فاقة وضنك.

أسئلة المناقشة

1. عدِّد أبرز الأغراض الشِّعرية في العصر العبَّاسيّ الثّاني؟
2. تكلَّم عن غرض الشكوى؟
3. بيِّن الأسباب التي دفعت الشِّعراء إلى نظم شعر الشكوى؟



شعر الحماسة في الحروب الصليبية

الأهداف

عدد الحصص 1

1. أن يكتب الطالب ملخصا عن أثر الحروب الصليبية غي شعر الحماسة.
2. أن يعدد الطالب أغراض شعر الحماسة.
3. أنْ يعدِّد الطالب الخصائص الفنية لشعر الحماسة.
4. أن يقرأ الطالب الأبيات الشعرية قراءة جيدة.

لمحة تاريخية:

يُقصدُ بالحروب الصليبية تلك الحملات العسكرية التي وجهها الغرب النصراني في أوربا إلى الشرق الإسلامي؛ بهدف احتلال بيت المقدس، والقضاء على الإسلام ووقف انتشارهِ في أوربا، وقد استمرت تلك الحروب قرنين من الزمان من عام **490** وحتى **690**هـ.

أثر هذه الحروب في الشّعر:

كان لهذهِ الحروب آثارٌ كبيرةٌ في الأدب شعرهِ ونثرهِ، فقد ألهبت العاطفة الجهاديّة، وأوقدت في صدور المسلمين نار الغيرة على الدين والحقد على الغازين الغاصبين، فاتقدت المشاعر، وامتزجت بالدم المراق في ساحات الجهاد، وأصبح الشِّعراء يجاهدون بألسنتهم كما يجاهدون بأسلحتهم، فنتج عن هذا كمٌّ هائلٌ من الشِّعر كان لهُ أكبر الأثر في إبراز روح الجهاد بين الناس.

موضوعات شعر الحماسة:

نقصد بموضوعات شعر الحماسة الأغراض الشِّعريَّة التي واكبت الحروب الصليبية، وكان لها علاقة بالجهاد ضد الأعداء، ومن هذهِ الأغراض:

1. الدعوة إلى الجهاد، وهو لبّ الشِّعر في هذهِ الفترة، والمنطلق الذي اتخذهِ الشِّعراء باباً لكل المعاني والأفكار التي عالجوها في شعرهم، فقد حمل الشُّعراء

على عواتقهم مهمَّة الدعوة إلى الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، وتوحيد الجهود لقتالِ العدو المشترك الذي جاء ليقضي على المسلمين ويحتل ديارهم، وذلك كقول ابن القيسراني يحرض نور الدين محمود على مواصلة الجهاد، وتحرير بيت المقدس:

فسِرْ واملأِ الدُّنيا ضياءً وبَهْجةً
فبالأُفق الدّاجي إلى ذا السَّنا[6] فَقْر

كأَني بهذا العَزمِ لا فُلّ حَدُّه
وأقصاه بالأَقصى وقد قُضِيَ الأَمر

وقد أَصبحَ البيتُ المُقدَّسُ طاهراً
وليس سوى جاري الدِّماءِ له طُهْرُ

2. وصف المعارك، وهو من الأغراض التي أبدع فيها الشُعراء حيث رسموا صوراً شعريَّةً نابضةً بالحركة والحياة، وصفوا خلالها أدوات القتال، وخطط الحرب، كقول ابن القيسراني يصف إحدى المعارك:

والخيلُ مِن تحت قتلاها تخرُّ لها
قوائمٌ خانَهُنَّ الرَّكضُ والخَبَبُ[7]

والنَّقعُ فوقَ صِقالِ البِيضِ مُنعَقِدٌ
كما استقلَّ دُخانٌ تحته لَهَبُ

والنَّبلُ[8] كالوَبْلِ[9] هطَّالٌ وليسَ له
سوى القِسِيّ[10] وأيدٍ فوقَها سُحُبُ

(6) السنا: الضوء.
(7) الخبب: نوع من ركض الخيل.
(8) النبل: السهام.
(9) الوبل: المطر الغزير.
(10) القسِيِّ: أقواس الرماية.

3. رثاء الأبطال في المعارك: وقد خلَّد الشِّعراء ذكر أبطال المسلمين الذين استشهدوا في سبيل الله بقصائد رثائية غاية في الجودة، كقول أبي يعلى القلانسي يرثي عماد الدّين زنكي:

وأصـــــبَحَ سُــــلطان الـــبلادِ بســـيفه

ولـــيس لـــه فيهـــا نظـــيرٌ يزاحِمُـــهْ

وزادَ علـــى الأمـــلاك بأســـاً وســـطوةً

ولم يبـــقَ في الأمـــلاكِ مَلْـــكٌ يقاوِمُـــهْ

فلمَّـــا تَنَـــاهى مُلْكُـــهُ وجلالُـــهُ

وراعـــتْ ولاةَ الأرض منـــه لوائِمُـــهْ

أتـــاه قضـــاءٌ لا تُـــرَدُّ ســـهامُهُ

فَلَـــم تُنجِـــهِ أموالُـــهُ ومغانِمُـــهْ

ولم يكن الرُّثاء مقصوراً على الأبطال وحدهم، بل كان هناك رثاء للمدن الإسلامية التي سقطت في أيدي الصليبين، ولعلَّ من أشدِّ ما وقع للمسلمين من البلاء استيلاء الصليبيين على بيت المقدس، إذ قالوا شعراً يقطر أسىً ولوعةً، ويفيض عبرةً، ويدعو إلى الثأر واسترداد المدينة، وكذلك كقول (شهاب الدين يعقوب) يبكي القدس:

لعـــلَّ سُـــيولَ الـــدَّمع يُطفـــئُ فيضَـــها

توقُّـــدُ مـــا في القلـــبِ مـــن جمـــرات

على المسجدِ الأقصى الذي جلَّ قدرُهُ

علـــى مـــوطنِ الإخبـــاتِ[11] والصَّـــلَوات

لِتَبْـــكِ علـــى القُـــدْسِ الـــبلادُ بأســـرِها

وتعلـــنُ بـــالأحزانِ والتَّرَحـــات[12]

---

(11)الإخبات: الخشوع ، (12) الترح : الحزن

الخصائص الفنيّة لشعر الحماسة في الحروب الصليبية:

1. القوة والجزالة في الألفاظ والتراكيب معاً ومحاكاة كبار الشّعراء العبّاسيّين ومعارضتهم كالمتنبِّي وأبي تمّام.
2. صدق العاطفة، وذلك لأنَّ الشُّعراء يعبُرون بإخلاصٍ عمَّا يختلج في صدورهم من حب لهذا الدين وبغض للأعداء.
3. الجدية والالتزام، فكان لشعراء الحماسة هدفُ يسعون إليهِ وغايةُ نبيلةُ يرجون تحقيقها، وفي سبيل ذلك حاولوا الارتقاء بشعرهم لغةً وأسلوباً.
4. الوحدة الموضوعيَّة، ذلك أنَّ الشَّاعر يتناول غرضاً واحداً هو الجهاد.

أسئلة المناقشة

1.ماهي آثار الحروب الصليبية على الشِّعر العربي؟
2.تكلَّم عن موضوعات شعر الحماسة؟
3.عدِّد الخصائص الفنية لشعر الحماسة؟
4.تكلّم عن رثاء المدن.



من نماذج شعر الحماسة والجهاد في الحروب الصليبية
الأبيُوَردي

الأهداف

عدد الحصص 3

1. أن يلخص الطالب سيرة حياة الشاعر الأبيوردي.
2. أن يقرأ الطالب ثمانية أبيات شعرية نظمها (الأبيوردي) قراءة جيدة عن ظهر القلب.
3. أن يعطي الطالب معاني بعض الكلمات الواردة في القصيدة.
4. أن يبين الطالب ما عناه الشاعر في استعماله الفاظ الألوان في القصيدة.
5. أن يقدم الطالب تعليقاً نقدياً لأبيات شعر (الأبيوردي) في الوصف.
6. أن يعلل الطالب سبب لجوء الشاعر (الأبيوردى) للتهويل والمبالغة.

هوَ محَّمد بن أحمد بن محمد ولد بــ(كوفن) إحدى المدن القريبة من أبيورد الواقعة في خراسان في أسرة ذات جاه ونعيم، ونشأ في رعاية أسرته وتثقف ثقافة واسعة، وأخذ عن كثير من العلماء في عصره، حتى غَزُرَ علمه، وتوسعت معرفته وشهد له بالتضلع من أكثر علوم العصر، بل جعلته ثقافته الشاملة العميقة إماماً في كلِّ علمٍ وفنٍ، متقناً اللغة والنحو والنسب والأخبار، وأمدته بيد باسطة في البلاغة والإنشاء، كما كان أحد قراء أبيورد، ولم يقتصر الأبيوردي على تلقي العلوم والإبداع فيها، بل شارك في التأليف أيضاً، فخلف آثاراً ذكرت أسماؤها في بعض مصنفات مَنْ ترجموا له.

قضى الأبيوردي ردحاً من الزمن في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى بغداد ومكث فيها مُقَّرباً من الخلفاء والوزراء، عشرين سنة، وتولى في غضون هذه الحقبة خزانة الكتب النظامية، ثمَّ غادر بغداد متنقِّلاً في خراسان حتى استقرَّ به المقام في أصبهان، حيث عُهِدَ إليه بولاية عمل كبير بقي فيه إلى أن توفُي مسموماً في سنة (507 هـ).

قال الشِّعر منذ صباه إلى أواخر أيامه، ولم يتخذه وسيلة للتكسب أو النيل من الآخرين، وإنّما اتّجه به إلى الخلفاء والوزراء.

إن ما وصل إلينا من شعره يُعدُ من أجود الشِّعر وأحسنه، وهو دليل بين على أصالة شاعرية صاحبه، لما امتاز به من سلامة التراكيب، وانتقاء اللفظ، وبلاغة التعبير، وقلة تكلُّف البديع، علماً بأن عصره كان عصر العناية الفائقة بالبديع، وفي شعره روح حماسية عربية فياضة، فقد تعالت هتافاته الحماسية هذه في أغلب ما وصل إلينا من شعره، وهو ينطلق فيها معتمداً على أُسس رصينة من أرومته العربية وأُسْرَتِهِ الكريمة، وخلقه الرَّفيع، ومن أجل هذا كان الفخر والحماسة من أكثر ما نظمه، وأحسن ما قاله، وله مع ذلك غزل كثير، رقيق، جاء بعضه في مطالع بعض قصائده، كما جاء بعضه منفرداً مستقلاً، من آثاره المطبوعة: ديوانه

قال الأبيوردي لما استولى الفرنج على بيت المقدس سنة (492هـ):

للحفظ ثمانية أبيات

مَزجنا دماءً بالدَّموع السَّواجم
فلَم يبقَ منا عرضَةٌ للمراجمِ
وشرُّ سِلاحِ المَرْءِ دَمعٌ يُفيضُهُ
إذا الحَربُ شُبَّت نارُها بالصَّوارمِ
فَإيها بني الإسلام إنَّ وراءكُمْ
وقائعَ يُلحِقْنَ الذُّرى بالمناسمِ
أتهويمةً في ظلِّ أمْنٍ وغبطَةٍ
وعَيْشٍ كنُوَّارِ الخَميلةِ ناعمِ
وكيف تَنامُ العيْنُ مِلءَ جفُونِها
على هَبَواتٍ أيقظَتْ كُلَّ نائمِ

وإخـــــوانُكم بالشَّــــــام يُضـــــحي مقـــــيلُهُم
ظهـــــورَ المـــــذاكي أو بطـــــونَ القشــــاعم
تَسُــــــومُهُم الــــــرَّومُ الهــــــوانَ وانــــــتمُ
تَجــــرُّون ذَيْــــلَ الخفــــض فعْــــلَ المُســــالم
وكَــــمْ مــــن دِمــــاءِ قــــد أبيحــــت ومــــن دُمــــىً
تـــــواري حيَـــــاءً حُســـــنَها بالمعاصـــــم
بحَيـــثُ السَّـــيوفُ البـــيضُ مُحَمـــرَّةُ الظُّبـــا
وسُـــمْرُ العَـــوالي داميـــاتُ اللَّهـــازم
وبـــينَ اخـــتلاس الطَّعْـــنِ والضَّـــرب وَقْفَـــةٌ
تَظَـــلُّ لهـــا الولـــدانُ شـــيبَ القَـــوادم
وتلـــكَ حُـــروبٌ مـــنْ يَغـــبْ عـــن غمارِهـــا
ليَســـلمَ يَقْـــرعْ بَعْـــدَها سِـــنَّ نـــادم
سَـــلَلْنَ بأيـــدي المُشـــركينّ قواضـــباً
سَـــتُغْمَدُ مِـــنْهُم في الطُّلـــى والجمـــاجم
يكـــادُ لَهُـــنَّ المُســـتَجنُ بطيبـــة
يُنـــادي بـــأعلى الصَّـــوتِ: يـــا آلَ هاشـــم
أرى أمتَّـــــي لا يُشـــــرعونَ إلى العـــــدا
رِمـــاحَهم، والـــدِّينُ واهـــي الـــدعائم
ويجتنبونَ النَّارَ خوفاً من الرَّدى
ولا يَحْســـــبونَ العـــــارَ ضـــــربةَ لازم
دعونـــــاكم والحـــــربُ ترنُـــــو مُلحّـــــةً
إلينـــــا بألحـــــاظ النُّســـــور القَشَـــــاعم
تُراقـــــبُ فينـــــا هيبـــــةً عُمريَّـــــةً
تُطيـــلُ عليهـــا الـــرُّومُ عَـــضَّ الأبـــاهم

اللغة

السّواجم: الغزيرة، السائلة.

عرضةٌ للمراجم: مجال للظنون.

المراجم: جمع مرجمة ويراد بها هنا الذم.

إيْهاً: اسم فعلِ أمر للاستزادة من حديثٍ أو عملٍ ما.

الوقائع: الأحوال والأحداث مفرده، وقعة.

الذُّرى: جمع ذروة، وذروة كل شيء: أعلاه.

المناسم: جمع منسم، وهو طرف خفُ البعير.

التهويمة: النوم الخفيف، أو الشعور بالحاجة إلى النَّوم.

الغبطة: حسن الحال والمسرة.

النُّوار: الزهر، واحدته نَوّارة.

الخميلة: الشجر المجتمع أو كل موضع كثر فيه النبات.

الهَبوات: جمع هبوة: غبرة المعارك.

المقيل: القيلولة: أي النوم وسط النهار، وموضع القيلولة.

المذاكي: الخيول.

القشاعم: جمع قشعم، النَّسْر الذكر العظيم.

تسومهم: يوليه إياه، ويزيده عليه.

الخفض: الدِّعة وسعة العيش.

أُبيح: أُحِلَّ وأطلق.

دمى: جمع دمية: الصَّورة المتمثلة من العاج وغيره يضرب بها المثل في الحسن والمراد هنا (النُساء).

المعاصم: جمع معصم، وهو موضع السِّوار من اليد.

الظبا: جمع ظبة، وهو حدُّ السيف أو السنان.

سمر العوالي: الرِّماح.

اللهازم: جمع لهزم، وهو كلّ شيء قاطع مع سنان أو سيف.

اختلاس: انتهاز ومخاتلة.

وقفة: سكون وترقُّب.

القوادم: المراد بها هنا الشَّعر، شَعَرُ مُقدَّمِ الرّأس.

الغمار: الشَّدائد والمكاره جمع غمرة.

يقرع بعدها سِنَّ: يصكُّه ندماً.

القواضب: السَّيوف اللطيفة الرَّقيقة، جمع قاضب، القاضب الشَّديد القطع.

ستُغْمد: ستُدخَل.

الطّلى: الأعناق، أو أصولها، جمع طُلاة.

المستجن: المستتر، ويريد الرَّسول صلى الله عليه وسلم.

طيبة: مدينة الرَّسول صلى الله عليه وسلم.

يشرعون رماحهم: يُسددونها.

واهٍ: ضعيف مُسْتَرخٍ.

الدعائم: جمع دعامة، وهو عمود البيت الذي يقوم عليه.

ضربة لازم: ملازم، ثابت.

ترنو: تديم النَّظر في سكون طَرْف.



التعليق النقدي

في هذه الأبيات يستحثّ الشّاعر- الذي دهمه الأمر، وأفظعه الخطب- العرب والمسلمين على ردُ العدوان والقِصاص من العدوّ الغازي الذي دَنَّس احتلالهِ حرمات البلد الآمن المقدَّس، فصوَّر هذه المأساة الحزينة التي حَلّت بالمسلمين ونالت منهم، فجرت الدُّموع غزيرة يخالطها الدم، لهول ما وقع، وعظيم ما حدث، غير أنَّ الدموع وحدها لا تكفي، فهي عقيمةُ الجدوى.

إنَّ أضعف السلاح، وأكثره خطراً على أهله هو الاكتفاء بمسح الدُّموع إذا ما استعر أوار الحرب واشتدّ قرع السَّيوف، وأنتم أيها المسلمون تنتظركم إذا ما تقاعستم وتخاذلتم أهوال عظيمة، وأحداث جسيمة، تقلب كل شيء رأساً على عقب، وهل يجوز في حكم الشرع والحقُ الاستكانة إلى التَّراخي، والاطمئنان إلى العيش الرخي الرغيد في مثل هذه الاحوال العصيبة الضاغطة؟ وإنه لأمر عجيب أن ينام الواحد منَّا، وتنتظره هذه الأهوال المجلجلة التي أفزعت كلَّ من آمنٍ، ونبهت كل راقدٍ، أن العدو الغادر قد فعل الأفاعيل بإخوان لكم أصبحوا بين حالين، إما أن يمتطوا صهوات جيادهم للذود عن الحياض، وإما أن يصبحوا طعاماً سائغاً للعقبان والنسور وقد ذاقوا على أيادي هؤلاء العتاة كل ألوان الخسف وصنوف الهوان، في حين أيها المسلمون ترفلون بسوابغ النعم، وتنعمون بلذائذ الحياة وكأنكم في أمن ودعة وسلام.

إن دماء زكيَّة كثيرة قد أريقت وأبيحت، وإنَّ الحرمات قد هتكت، وهؤلاء فتياتكم الحسان ليس لهنَّ ما يسترن بهنَّ جمالهنَّ البارع سوى أكفُهن ومعاصمهنَّ، وهنَّ مأخوذات بسيوف العدوُ المصطبغة بدماء أوليائهنَّ، والذائدين عنهنَّ.

إنَّ هذه الحرب أو المأساة مخيفة جداً، حتى لقد شاب لهولها وضراوتها صغار الفتيان، وإنها تهدف إلى الاحتلال والإذلال، فلا مجال للتَّخاذل، ولا مفر من ركوب أهوالها مهما كلَّف الأمر، وكبرت التضحيات، إنها حربٌ مصيريَّة، ولا عذرَ لمن يقعد متفرِّجاً عليها؛ لأنَّها قد أطمعت العدو فيكم وفي أرضكم، وهذه سيوفه المشرعة ستتخذ من رقابكم وجماجمكم أغماداً لها.

ووقف الشَّاعر بعد هذا مستصرخاً العرب والمسلمين للوقوف والصمود بوجه هذا الطغيان العاتي ويستحثّهم على المنازلة والمقاومة ويستنفرهم بصوت الرسول صلى الله عليه وسلم، لعترته من آل هاشم.

إن هذه الحرب الضروس تنظر إلينا نظرات حادة قوية تنتظر منا صولة ذات عزّةٍ اسلاميّةٍ ماحقةٍ تُرعب العدو وترهبه، وتمزِّق أوصاله وتبدّدها وتجعله يندم على فعلته النَّكراء، ويتجرَّع غصص الخيبةِ والخذلان أمداً طويلاً.

وهذه الأبيات صرخة مدوية من أعناق نفس مكلومة، شعرت بالأسى، وأحسَّت بالفادحة، وقد صوَّرت تصويراً حياً كلَّ ما أريد منها.

لقد بدت في هذه الأبيات ألوان من الفنون البلاغيَّة، من دون مبالغة بصنعة وبديع ومجاز وكناية، كقوله: الحرب شبَّت نارها، وعيش كنوار الخميلة، وتنام العين ملء جفونها كناية عن الأمان، وعضّ الأباهم، فهي كناية عن الندم والمستجن بطيبة كناية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك كثير.

كما إن التَّجسيم والتَّهويل في أكثر ما جاء كان مقصوداً ومتعمَّداً، ليكون التأثير في النَّفوس أعمق، والحثّ على الجهاد والاستنفار أعظم، وهو ما ينبغي أن يكون في مثل هذا الفن أو المعنى.

إنَّ هذه القصيدة مثال عالٍ في الصِّناعة، ونفثة صادقة ملتهُبة من نفثات شاعر مسلم ملتزم في وقت عزَّ فيه وجود أمثاله، ومن أجل هذا كله يحقُّ لنا أن ننعتها بـ(القصيدة الجهاديَّة).

أسئلة المناقشة

1. ما خصائص شعر الأبيوردي؟
2. كان الأبيوردي صادقاً في مشاعره الاسلاميّة، أيِّد هذهِ الفكرة بنص من القصيدة.
3. علّل ما يأتي:

أ. ميل الشاعر إلى التجسيم والتهويل في قصيدته.

ب. تطلع الشاعر في أحد أبيات القصيدة إلى غارة إسلامية موحدة.

ج. تستحق هذه القصيدة تسميتها (القصيدة الجهادية).

4. في الأبيات إشارات إلى الألوان، استخرجها، وبينّ دلالتها.

عماد الدين الأصبهاني

عدد الحصص 2

الأهداف

1. أنْ يلخّص الطالب سيرة حياة الشاعر الأصبهاني.
2. أن يقرأ الطالب الأبيات الشعرية قراءة معبرة.
3. أن يعطي الطالب معاني بعض الكلمات الواردة في القصيدة.
4. أن يقرأ الطالب ثمانية أبيات شعرية نظمها (الأصبهاني) في مدح صلاح الدين الأيوبي عن ظهر القلب.
5. أن يعيّن الطالب العبارات التي اقتبسها الشاعر من القران الكريم.
6. أن يبين الطالب ابرز ما اختلف به الأصبهاني عن الشعراء الآخرين.
7. أن يعلل الطالب سبب عد قصيدة الأصبهاني أنموذجاً للشعر المعتدل.
8. أن يقدم الطالب تعليقا نقديا لقصيدة الأصبهاني.

أبو عبد الله عماد الدِّين الأصبهانيُّ، مؤرخ وعالم بالأدب، من أكابر الكتَّاب، ولد في أصبهان سنة (519هـ)، وقدم بغداد حدثاً، فتأدَّب وتفقَّه.

عمل عند السَّلطان نور الدِّين محمود في ديوان الإنشاء، ثم لحق بصلاح الدين الأيوبي بعد موت نور الدين. ولما ماتَ صلاح الدين استوطن العماد دمشق ولزم مدرسته المعروفة بالعمادية وتوفي بها.

ومن مدائحهِ لصلاح الدين:

للحفظ

رأى النَّصـــــرَ في تقـــوى الإلـــهِ وكـــلُّ مَـــن
تَقَـــوَّى بتقـــوى اللّهِ لا يُعـــدمُ النَّصـــرا
ولَّمـــا رأى الـــدُّنيا بعـــينِ ملالَـــةٍ
أَغـــذَّ مـــن الأُولى مســـيراً إلى الأُخـــرى

وقـــــامَ صــــــلاحُ الـــــدِّينِ بالمُلْـــــــكِ كــــافلاً
وكيـــــف تــــرى شمــــسَ الضُّــــحى تَخْلُـــفُ البـــدْرا

هــــــــزمْتُم جنـــــود المشـــــــركين بـــــــرعْبكم
فلـــــم يلبثـــــوا خوفــــاً ولم يمكثـــــوا ذُعْـــــرا

وفـــــرَّقتمُ مــــــن حـــــولِ مصـــــر جمــــوعَهم
بكســـــرٍ وعـــــادَ الكســــرُ مـــــن أهلهـــا جَبْـــــرا

بسَــــــــفْكِ دَمٍ حُطْـــــــتُمْ دِمــــــاءً كثـــــيرةً
وحُـــــزْتُم بمــــــا أَبْـــــدَيْتُمُ الحَمْـــــدَ والشُّـــــكْرا

فصـــــبُّوا علـــــى الإفــــرنْجِ ســــوطَ عـــــذابها
بـــــأن تقســـــموا مــــا بينَهـــا القَتْـــلَ والأَسْـــــرا

تــــــديمونَ بـــــــالمعروفِ طيِّــــــبَ ذكْـــــرِكم
ومــــا المُلْـــــكُ إلاَّ أن تُـــــديموا لكــــم ذِكْـــــرا

اللغة

أغذ: أسرع.

يمكثوا: ينتظروا.

التعليق النقدي

في هذهِ القصيدة يمدحُ الشَّاعرُ صلاحَ الدِّين الأيَّوبيَّ وقد أبرز من خلالها الخصال الحميدة التي تحلَّى بها صلاح الدين فهو يستمد قوتَهُ من خشية الله، ولا تراهُ متمسكاً بالدنيا ولذَّاتها، بل يسرع لنيل رضا الله في الآخرة، وهو بهذا يخالف كثيراً من شعراء عصرهِ الذين غلبت على أشعارهم التَّشبيهات

المادية كتشبيه الممدوح بالسَّيف والرَّمح والقمر... وحتَّى وصفُهُ لصلاح الدِّين بشمس الضَّحى لم يكن يقصُدُهُ لذاتهِ، بل صوَّر من خلالهِ مكانة صلاح الدِّين بالنسبة إلى من سبقهُ من السَّلاطين.

وقد صوَّر الشاعر شخصية صلاح الدين من زاويتين: فكسرهُ للأعداء جبرٌ لرعيتهِ، وسفكه لدمائهم حفظٌ لدماء المسلمين، وبهذا وصف الله رسولَه صلى الله عليه وسلم وأصحابَهُ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ...﴾ الفتح. وفي البيت السابع اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣﴾ الفجر.

وعموماً فإنَّ القصيدة أنموذج لشعر المديح المتوازن، فلا نرى فيها مبالغات مفرطة، ونجدها بعيدة عن التكلف والصَّنعة اللفظيَّة التي اشتهرت في ذلك العصر.

أسئلة المناقشة

1. ما الصفات التي أبرزها الشاعر في ممدوحه؟
2. بمَ اختلف أسلوب الشاعر في المديح عن شعراء عصرهِ؟
3. في القصيدة اقتباس من القرآن الكريم، دُلَّ عليهِ.
4. ((تُعد القصيدة أنموذجاً للمديح المتوازن)) ناقش ذلك.



النثر وتطوره

عدد الحصص ١

الأهداف

أنْ يلخص الطالب تطوَّر النَّثر في العصر العباسي الثاني

تطوَّرَ المجتمعُ في العصر العبَّاسيّ الثّاني تطوُّراً كبيراً. فأخذ بأسباب الزينة والأناقة والتَّرف في أُطُر الحياة المختلفة، ودخل التَّأنُّقُ والتَّزيُّنُ في الأدب شعراً ونثراً. وكذلك الكتَّاب، ولا سيَّما الذين يعملون في الدواوين، فإنهم زيَّنوا نثرهم وجمَّلوه بحلي البديع حتَّى أصبحنا لا نرى منهم- إلاَّ ما ندر- من لا يتَّخذ السَّجع وسيلة في تدبيج كتابته.

وكان للقائمين على الإمارات والدُّويلات آنذاك دورٌ فعالٌ في تنشيط الكتابة واجتذاب كبار الكتَّاب إلى مجالسهم ومحافلهم ودواوينهم وإعطائهم سلطات واسعة. وكان هؤلاء الكتَّاب يتنافسون في إبراز كتاباتهم بأجمل مظهر، وأحسن ديباجة، وأبدع صياغة، وألطفُ صورةٍ موشَّاةٍ بفنون البديع وضروب البيان. وكلَّما تقدَّم الزمن وجدنا النَّثر يزداد ولوعاً بقيود الصنعة وأغلال التعقيد. وبلغ التصنيع والتعقيد غايته في القرن السادس للهجرة.

وابتعد عن طريقة الصنعة والتعقيد، وتجنبها فريق من الكتَّاب، عُرفَت طريقتهم بالأسلوب المرسل الذي يهتم باللفظ والمعنى على السواء، ولا يترك أحد الطرفين على حساب الطرف الآخر. ويأخذ أنواعاً من البيان والبديع على سبيل الإتقان وليس التعقيد والتكليف.

ومن أبرز مزايا طريقة هؤلاء الكتاب وضوح الألفاظ وسهولتها، وفصاحة العبارات ورصانتها، وبعدها عن الضعف والابتذال، والموازنة بين الألفاظ والمعاني، وربط الأفكار وتنظيمها في سياق جميل.

عدد الحصص 1

الأهداف

1. أنْ يعرِّف الطالب المَقامَة.
2. أنْ يعدِّد الطالب موضوعات المَقامَة.
3. أن يذكر الطالب ابرز الاساليب البلاغية للمقامة.

المقامة

المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المَقامَـة هي المجلس، والجماعة من الناس. والمجلس في الغالب تدور فيه أحاديث للمسامرة. وقد كان للعرب قبل الإسلام مجالس سمر يتحدثون فيها بقصص الجن والحيوان، ويحدِّثون بالمواعظ والأمثال. أمَّا في العصر الإسلامي فنجد الكلمة تستعمل بمعنى المجلس الذي يقوم فيه شخص بين يدي خليفة أو غيره، ويتحدث واعظاً وناصحاً. وبذلك يدخل في معناها الحديث الذي يصاحبها. فالمقامات إذاً كانت تُعنى بأحاديث بالنَّصح والإرشاد والوعظ والتقويم الخلقي. لتصبح المقامة فيما بعد مصطلحاً أدبياً تطلق على نوع من الكتابة الفنيَّة يكون على شكل أقصوصة منمقة في ألفاظها وأسلوبها، فيها شيء من الحوار، وتعتمد في الغالب على راوٍ واحد وبطل أديب متحايل. الغرض منها وصف حالة نفسيَّة، أو مفارقة أدبيَّة، أو مسألة دينيَّة، أو قضيَّةٍ علميَّة. وتتضمَّن لوناً من ألوان النَّقد، أو التهكُّم والسُّخرية، أو التصحيح والتقويم، ويُعدُّ بديع الزَّمان الهمداني أوَّل من أعطى كلمة (مَقامَة) معناها الاصطلاحي بين الأدباء.

أصحاب المقامات:

انتشرت مقامات بديع الزَّمان انتشاراً واسعاً بين الشَّرق والغرب. وأقبل الكتَّاب على قراءتها وكتابة المقامات على طريقتها وإن اختلفت في الأساليب والمضامين. ويقال إنَّ عدد كتَّاب المقامات قد زاد على ستَّة وسبعين كاتباً.

موضوع المقامات:

نقلت المقامات صورة المجتمع في فقره وبؤسه وحرمانه من الحريَّة والعيش العزيز الكريم. ومنها ما أخذ طابعاً ثقافيَّاً مثل مقامات النقد الأدبي.

وكانت منها مقامات دينيَّة وَعْظيَّة تسعى إلى النَّصح والإرشاد، وحثِّ النَّاس على اتِّباعِ الخُلُقِ القويم والطريق المستقيم. ومنها وصفيَّة تتناول العادات والطَّبائع والمآكل والمشارب والحيوانات والمدن.

أسلوب المقامات:

انتشرت الصَّنعة في الكتابة العربية في القرن الرابع للهجرة شيوعاً كبيراً، وانتقل أثرها إلى المقامات، فنجد فيها جانباً كبيراً من الأساليب البلاغيَّة المصطنعة، ولا سيَّما السجع والجناس والتَّصوير والإكثار من الألفاظ الغريبَّة والشِّعر الذي يطول أحياناً، والاقتباس من القرآن الكريم، والأمثال العربيَّة المشهورة، مع تضمينها معارف كثيرة في اللغة العربيَّة وأدبها.

أسئلة المناقشة

1. ما معنى المَقامَة لغةً واصطلاحاً؟
2. ما هي موضوعات المقامة؟
3. ما أهم سمات بطل المقامة؟



بديع الزمان الهمذاني

الأهداف

عدد الحصص 1

1. أنْ يلخص الطالب سيرة حياة بديع الزَّمان الهمداني.
2. أن يقرأ الطالب المقامة الوعظية للهمداني قراءة معبرة عن ظهر القلب.
3. أن يعطي الطالب معاني بعض الكلمات الواردة في المقامة الوعظية.
4. أن يقدم الطالب تعليقا نقديا موجزا للمقامة الوعظية.

سيرته:

هو أبو الفضل، أحمد بن الحسين. ويعرف ببديع الزمان. ولد في همذان في الثالث عشر من جمادى الآخرة، سنة(358 هـ). من أسرة يصل نسبها إلى بني مضر. نشأ في همذان، وتعلَّم فيها القراءة والكتابة. وتتلمذ على يد الكثير من العلماء والأدباء. خرج بديع الزَّمان من همذان سنة(380 هـ) طلباً للمال والجاه والشهرة، فقصد أصبهان وجرجان فنيسابور وسجستان، ثم هراة، ليستقرَّ فيها ويتزوج. وطاب له المقام حتَّى ملك مالاً وضياعاً، وعاش عيشةً راضيةً، وأنجب أولاداً. وفي سنة (398هـ)، توفي وقد ناهز الأربعين من عمره.

آثاره:

كان بديع الزمان شاعراً وناثراً على السَّواء. وقد ترك لنا:

1. **ديوان شعره.**
2. **رسائله.**
3. **مقاماته.**

واشتهرت مقاماته أكثر من رسائله. وهي قائمة على الكِدية باستثناء ثلاث عشرة مقامة تتناول أغراضاً شتَّى في المديح والوصف والنَّقد والأدب والألغاز والوعظ والحِجاج في المذاهب وأحوال الزَّمان والفكاهة.

المقامة الوعظيّة

للحفظ

(**حدّثنا عيسى بنُ هشام**[13]، **قال**: **بَيْنما أنا بالبصرة أميسُ، حتى أدّاني السَّيرُ إلى فُرْضة قد كثُر فيها قومٌ على قائمٍ يَعظُهمُ، وهو يقول**: **أيّها النّاسُ إنكم لم تُتركوا سُدىً. وإنَّ مع اليوم غداً. وإنكم واردو هُوَّة. فأعدّوا لها ما استطعتُم من قوّة. وإنّ بعد المعاش مَعاداً. فأعدّوا له زاداً، ألا لا عُذْرَ فقد بُيّنَتْ لكم المُحَجّة. وأُخِذَتْ عليكمُ الحُجَّةُ. من السَّماءِ بالخَبَر. ومن الأرضِ بالعِبَر، ألا وإنّ الذي بَدَأَ الخلقَ عليماً يُحيي العظام رَميماً...**

قال عيسى بنُ هشام فقلتُ لبعض الحاضرين: **مَنْ هذا؟**. **قال**: **غَريبٌ قَدْ طَرَأَ لا أعرفُ شَخْصَهُ، فاصبرْ عليه إلى آخرِ مَقامَتهِ. لعلّهُ يُنبئُ بعلامته...**

ثم أرادَ الذَّهابَ، فمَضيتُ على إثْره، فقلتُ: **مَنْ أنتَ يا شيخُ؟**. **فقال**: **سبحانَ اللّه لم ترضَ بالحِلْيَة غَيَّرْتَها حتَّى عَمَدْتَ إلى المعرفةِ فأنكَرْتَها. أنا أبو الفَتْحِ الإسكَنْدَريُّ**...)

اللغة

أميس: أتبختر.

الفُرْضَة: المكان الفسيح.

سدى: مُهْمَلين.

هوَّة: القبر.

المعاد: يوم القيامة.

الزاد: أراد بها هنا طيِّب العمل.

المَحَجَّة: الطَّريق الواضح.

فمضيتُ على إثره: تَبِعْتُهُ.

الحِلْيَة: الهيئة والصُّورة.

---

(13)هو اسم وهميٌّ كان بديع الزَّمان يستعمله في رواية مقاماته.

التعليق النقدي

في هذه المَقامَة جعل بديع الزمان الهمدانَّي مِنْ (أبي الفتح الاسكندري) واعظاً, يدعو النَّاس إلى التهيُّؤ للآخرة, والسعي إلى الفوز بالجنَّة بالتعبُّد والعمل الصالح. وقد أورد ما قاله ناصحاً ومرشداً على لسان راوي المقامات عيسى بن هشام. وقد اتَّضحت في هذه المقامة خصائص أسلوبه الفنِّي في مقاماته عامَّة مِنْ: سجع منمَّق يعتمد الصنعة, مملوء بالتشبيهات والاستعارات والكنايات, فضلاً عن المحسنَّات البديعيَّة، ولاسيَّما الجناس والطِّباق. وكذلك الإكثار من الجمل الاعتراضيَّة, والاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف, والاستشهاد بالشِّعر والأقوال المأثورة.

أسئلة المناقشة

1. اذكر نبذة عن حياة بديع الزَّمان.
2. اكتب المقامة الوعظيَّة.
3. كيف اتّخذ بديع الزمان بطلَ مقامته؟

أبو الفضل بن العميد

الأهداف

1. أنْ يلخص الطالب سيرة حياة ابن العميد.
2. أن يقرأ الطالب جزءا من الرسالة التي كتبها ابن العميد إلى ابن بلكا قراءة معبرة عن ظهر القلب.
3. أن يقدم الطالب تعليقا نقديا موجزا لفن ابن العميد الانشائي.

عدد الحصص 2

سيرته:

هو أبو الفضل، محمَّد بن الحسين، المُلقَّب بابن العميد، من بيت فضل وصدارة، ولد في أواخر القرن الثَّالث للهجرة، وتربَّى في جوٍّ علمي وأدبي، تتلمذ على يد الكثير من علماء عصره، وقيل إنَّه تعلَّم في بغداد، ولذلك كان يُحبَّها ويُعجب برجالها وحضارتها. وأصبح وزيراً لركن الدَّولة. وكان ابن العميد يحتفي بالشُعراء ويكرمهم. وظلّ ابن العميد وزيراً ثلاثاً وثلاثين سنة. وتوفِّي سنة 360 بالريِّ. وقيل ببغداد. ويذكر أنَّ مؤلَّفاته تشمل: ديوان رسائله. وكتاب المذهب في البلاغات. ومجموع شعره.

فنه الإنشائيُ:

أشاد كل من كتب عن ابن العميد ببلاغته، فالقارئ لكتاباته التي وصلت إلينا يجدها قد أخذت بجانبٍ كبير من الصَّنعة، ونقصد السجع والبديع. وخير رسالة له نستدل منها على ذلك رسالته التي كتبها إلى ابن بُلكا: ونداد خورشيد عند استقصائه على ركن الدَّولةِ:

للحفظ

(كتابي وأنا مترجّحٌ بين طَمَعٍ فيكَ. ويأسٍ منك. وإقبالٍ عليك. وإعراضٍ عنكَ. فإنَّكَ تُدلُّ بسابقِ حُرمَةٍ. وتُمتُّ بِسَالِفِ خِدْمَةٍ. أيسرُهما يوجِبُ رِعايةً. ويقتضي محافظة وعناية. ثمَّ تَشفعُهُما بِحادثِ غُلولٍ وخِيانَةٍ. وتُتْبِعُهُما بأنفِ خلافٍ ومعصيةٍ. وأدنى ذلكَ يحبطُ أعمالك، ويَمحَقُ كلَّ ما يُرعَى لك).

والرِّسالة تسير إلى نهايتها على هذا الشَّكل. مملوءةً بالجناس والطِّباق. ومعتمدةً السَّجع في نهايات فقراتها. مع التُوازن بين كلِّ لفظة ومثيلتها في العبارتين المتجاورتين.

ونرى ابن العميد أحياناً معتدلاً في صنعته. يمزج السَّجع بغير السَّجع، فيأتي أسلوبه لطيفاً مقبولاً.

ولابن العميد حِكَم وأمثال استخرجها الدَّارسون من رسائله منها: (رأسُ المالِ خيرٌ مِنَ الربحِ). (الأصلُ أولى بالعنايةِ من الفرعِ)، (المرءُ أشبهُ شيءٍ بزمانِهِ)، (اجتنبْ سلطانَ الهوى وشيطانَ الميلِ). من كلُ ما سبق يتبيّن أن كتابات ابن العميد تقوم على أساسين كبيرين: أوَّلهما السَّجع. وكان السجع معروفاً من قبله في الدواوين العبَّاسيّة منذ القرن الرابع للهجرة. والأساس الثّاني لم يكن متَّبعا قبله، وهو استخدام المحسنات البديعية مع السجع. فالسجع وحده لا يكفي، بل لا بد أن تضاف إليه الاستعارة أو الجناس أو الطباق، وما إلى ذلك من محسّنات البديع وفنونه.

أسئلة المناقشة

1. اذكر نبذة عن سيرة ابن العميد.
2. لخِّص الفنَّ الإنشائي لابن العميد.
3. اكتب ما تحفظه من رسالة ابن العميد.

ابن الجَوزي



الأهداف

1. أنْ يلخص الطالب سيرة حياة ابن الجَوْزي.
2. أن يعدد الطالب بعض مؤلفات ابن الجوزي.
3. أن يقرأ الطالب بعض نوادر ابن الجوزي قراءة معبرة عن ظهر القلب.
4. أن يقرأ الطالب بعض الأبيات الشعرية لابن الجوزي قراءة معبرة عن ظهر القلب.
5. أن يذكر الطالب العبارة التي أوصى بكتابتها ابن الجوزي على قبره.

هو عبد الرَّحمن بن أبي الحسن عليٍّ بن جعفر الجَوزي، ينتهي نسبه إلى الخليفة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-. كنيته أبو الفَرَجِ. ومن ألقابه الواعظ والإمام والعَلّامة. أما نسبة الجوزي، فتعَّددت الآراء فيها، ولعلَّ أقربها أنَّه منسوب إلى منطقة في البصرة يقال لها جَوزة. ولد في بغداد سنة(510هـ) تقريبا، وعرف أنه كان كثير الطَّلب للعلم والمعرفة. تردد إلى المساجد والمدارس، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم الحديث النبويَّ، واكتسب ثقافة واسعة في شتَّى مجالات العلوم وأصنافها. اشتُهِرَ بالوعظ والإرشاد، يحثُّ النَّاس على الطاعات وترك المحرَّمات، حتى ذاع صيته، واشتُهِرَ أمره بين الناس، فقصد مجالسه الخلفاء والملوك والوزراء والأمراء والعلماء والفقراء، ومن لطائف أخباره ونوادر أجوبته:

للحفظ

(عقاربُ المنايا تلسعُ، وخدرانُ جسمِ الأملِ يمنعُ الإحساسُ، وماءُ الحياةِ في إناءِ العمرِ يرشَحُ بالأنفاس). (مَنْ قَنَعَ طابَ عيشُهُ، ومَنْ طَمَعَ طالَ طَيشُهُ)، (الرَّواحلُ في طيِّ المَراحلِ والأنامُ نيامُ)، (احذروا جاهلَ الأطباءِ فربَّما سَمّى سُمّاً ولَمْ يعرف المُسَمَّى)، (سأله أحدهم: أيُّهما أفضلُ أُسبِّحُ أو استغفرُ؟ فقال: الثَّوبُ الوسخُ أحوجُ إلى الصَّابونِ من البخورِ).

وبفضل تلك المجالس ترك ابن الجوزيُ تراثاً ضخماً من المؤَّلفات في شتَّى صنوف المعرفة: التَّفسير، والحديث، والفقه، والزهد، والوعظ، والتاريخ، والأخبار، والطِّبِّ، وغيرها. ومن هذه المؤلفات: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ذم الهوى، فضائل القدس، أخبار الأذكياء، أخبار الحمقى والمغفَّلين. فضلاً عمَّا تركه من شعر. وافته المنيَّة عام 597هـ في بغداد بعد سنتين من عودته من منفاه في واسط، التي بقي فيها خمسة أعوام على إثر وشاية من أحد مناوئيه، وعُدَّت تلك الأعوام الخمسة محنة حياته. وكان أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات:

للحفظ

يا كثيرَ العَفوِ عمَّــن كَثُرَ الذَّنْبُ لديهِ
جاءكَ المذنِبُ يرجو الصَّفحَ عن جُرمِ يديهِ
أنا ضيفٌ وجزاءُ الضَّيفِ إحسانٌ إليهِ

أسئلة المناقشة

1. استشهدْ بنوادر ولطائف ابن الجوزي؟
2. اذكر مؤلفات ابن الجوزي؟
3. ماذا أوصى ابن الجوزي أن يُكتب على قبره؟



عدد الحصص (1)

الأدب العباسيّ في عصوره المتأخرة

الأهداف

1. أنْ يعدِّد الطالب أهم أغراض الشِّعر في العصور المتأخرة.
2. أنْ يذكر الطالب خصائص شعر العصور المتأخرة.
3. أن يقرأ الطالب الأبيات الشعرية قراءة معبرة.
4. أن يقرأ الطالب خمسة ابيات شعرية نظمها (الكوفي) في رثاء بغداد عن ظهر القلب.
5. أن يعطي الطالب معاني بعض الكلمات الواردة في القصائد.
6. أن يقرأ الطالب أربعة أبيات شعرية نظمها (صفي الدين الحلي) في الفخر والحماسة عن ظهر القلب.
7. أن يقرأ الطالب ثلاثة أبيات شعرية نظمها (عز الدين بن كمونة البغدادي) في الحكمة عن ظهر القلب.

لمحة تاريخية

لم ينضبْ مَعينُ الشِّعر العربيُ بعد سقوط بغداد سنة (656هـ)، ولم يُحجم عنه النَّاهلون، ولكنَّه لم يكن متدفقاً بقوَّة كما نلمحه في العصور السابقة، ولا سيَّما في العصر العبَّاسيّ الأول.

لقد انقضَت عهود التَّشجيع للشعر والرعاية الكبيرة له، واضمحلَّت المجالس والمحافل التي تستقبل الشُّعراء، وتحتفي بهم. فالملوك والرُّؤساء في بغداد أعاجم لا يعرفون اللغة العربيَّة، وجانب كبير من الشعب جاهل لا يفهم الشِّعر ولا يستسيغه.

أما في مصر والشَّام، فقد وجد الفن الشِّعري جواً لا بأس به، استطاع أن يقوى على الوقوف والصَّمود، فإنَّ الملوك المستعربين أحاطوه برعايتهم، أمثال بني ارتق في ماردين، والملوك الأيُّوبيين في حماة وحصن كَيفا، وعدد من سلاطين المماليك الذين ولدوا في البلاد الإسلامية ونشؤوا فيها كالملك الناصر ابن قلاوون وإخوته.

ولـم يعد الشِّـعر فـي هذا العصـر مقتصراً علـى فئـة معينـة، بـل أصبح شـائعاً بـين مختلـف طبقـات الشَّـعب, يتَّخذونـه وسـيلة للتَّسلية والتفكَّه والمتعة حينـاً, والجّـدِّ والعمـل حينـاً آخـر. فكـان مـن أصـحابه الـوزراء والأمـراء والقـواد والفقهـاء والقضـاة والوراقـون والكحـالون والخيـاطون والـدهانون والنجـارون والبزازون والحدادون والفخارون وسواهم من الحرفيين، وفيما يأتي عرض لأهمِّ فنون الشِّعر التي حافظت على هيكل القصيدة، وخرج البعض منـها عن ذلك الـهيكل ليكون صورة جديدة قد تكون مختلفة كليَّاً أو جزئياً عمَّا كانت عليـه فـي السَّابق.



أغراض الشّعر في العصر العبّاسيّ المتأخر

كان الشِّعر في الغالب يعبِّر عن الأحاسيس والمشاعر، فقد جاء شعر الكثيرين صادقاً في تصوير الحياة، وأميناً في نقل دقائق الأحداث.

نظم الشّعراء في مختلف الأغراض كالمديح، والرِّثاء، والفخر والحماسة والوصف. والزهد والإخوانيَّات. ومن هذه الأغراض الشِّعريَّة:

1- المديح: وهو من أبرز أغراض الشِّعر في العصور المتأخرة, وقد غلب عليه التّقليد, ومثال على ذلك قصيدة (صفّي الدّين الحلَيِّ) في مدح ملك مصر (الناصر بن قلاوون) التي عارض فيها قصيدة (أبي الطيب المتنبي) التي يقول في مطلعها[14]:

بـــــأبي، الشُّـــــموس الجانحـــــاتُ غواربـــــا
اللابســـــاتُ مِـــــنَ الحريـــــرِ جلابِبـــــا

2- الرثاء: وهو من الأغراض البارزة في هذه الحقبة, فإلى جانب رثاء الأحباب والأصحاب نجد رثاءً للمدن الزائلة, وبكاءً على الدُّول البائدة، فهذا شاعر من بغداد اسمه شمس الدَين محمَّد بن أحمد الكوفيّ (ت675هـ) يبكي على بغداد, مهد العلم والأدب ودرَّة الحضارة, بعد أن فارقها على أمل العودة إليها, وإذا بيد التَّتر الباغية تضربها وتحيلها إلى خرائب يبابٍ، فيأتيها ويرثيها بقصيدة حزينة, تعبِّر عن صدق المعاناة تجاه المدينة المضروبة، وقد ذكر في مطلعها صحبه وأصدقاءه الذين ودَّعهم إلى غير رجعة, وتمنَّى الموت بعدهم, قال:

(14)شرح ديوان المتنبي (1)/88.

إن لم تُقَـــــرِّحْ أدمُعـــــــي أجفــــــاني

مِـــن بعــــدِ بعـــدِكمُ فمــــا أجفـــاني

إنســــانُ عينـــي مــــذْ تنــاءَت داركُـــمْ

مــــا راقَـــه نظــــرٌ إلى إنســــانِ

يــــا ليتنــــي قـــد مـــتٌّ قبــلَ فــراقِكمْ

ولســـــاعةِ التَّوديـــــع لا أحيــــــاني

مــــا لي وللأيَّـــام شــــتَّت صـــرفُها

حــــالي، وخلاَّنــــي بـــلا خُـــلّانِ

وتعجب الشاعر- بعد طوافه ببغداد- من تبُّدل الوجوه, وغياب الأهل والجيران, وما حَلَّ بها بعدما جالت فيها معاول الهدم, وألسنة النُيران:

مـــا للمنــــازل أصـــبَحت لا أهلُهـــا

أهلـــــــي، ولا جيرانُهــــا جيرانـــــي

وحيــــاتكم مــــا حلَّهـــا مــــن بعـــدكمْ

غــــيرُ البلـــى والهَـــدْمِ والنِّـــيران

ووقف مذهولاً أمام الدَّار الخربة- وهي ليست وقفة الشُّعراء على أطلال محبوباتهم الظاعنات- وسألها عما دهاها وأصابها -من خلال حوار مصطنع-, وكيف تحوَّلت إلى هذه الحال المؤلمة بعد عزّ ورخاء, وقوَّة ومنعة:

للحفظ

ولقد قصدت الدار بعد رحيلكم
ووقفت فيها وقفة الحيران
وسألتها لكن بغير تكلم
فتكلمت، لكن بغير لسان
ناديتها: يا دار ما صنع الأولى
كانوا هم الأوطار في الأوطان
أين الذين عهدتهم، ولعزهم
ذلا تخر معاقد التيجان
كانوا نجوم من اهتدى فعليهم
يبكي الهدى، وشعائر الإيمان

فردَّت الدَّار على سؤاله بجواب لطيف: أن أهوال الدَّهر وحوادثه أفنتهم كما أفنت دولة كسرى:

قالت: غَدَوا لمَّا تَبَدَّدَ شملُهُمْ
وتَبدَّلوا مِن عِزِّهِم بِهوانِ
أفنَتْهمُ غيَرَ الحوادثِ مثلما
أفنَتْ قديماً صاحبَ الإيوانِ

ولم يصف الشَّاعر في قصيدته المدينة المنكوبة تفصيلاً، وإنما أشار إلى ما أصابها من دمار وخراب إشارات عابرة, وانشغل بوصف حزنه على فراق أحبابه, وألمه الذي أصابه بعد نكبتها. ولم يستطع أن يتخلَّص – في موقف الحزن والأسى– من التَّزيين اللفظيُ والمعنويُ– من الجناس والطِّباق وردِّ الصَّدر على العجز[15]...

(15) انظر كتاب البلاغة.

إن الشِّعر الذي قيل في رثاء بغداد كثير، ونجد مثله في رثاء المدن الشَّاميَّة التي خربت بيد التَّتر. فهذا ملكها النَّاصر يوسف بن الملك العزيز محمد، وكان شاعراً - يؤخذ سنة (659 هـ) - أسيراً مع جميع أقاربه وأتباعه. وتضرب أعناقهم بالسيوف. وقد قال الأبيات الآتية حينما مروا به على حلب, وهي خاوية على عروشها, وألسنة النيِّران تعمل في بيوتها المهدمة:

يعـــزَّ علينـــا أنْ نـــرى ربعَكُـــمْ يَبْلَـــى
وكانـــتْ بـــه آيـــاتُ حســـنِكُمُ تُتْلَـــى

أدورُ بعينـــي نحـــوَكُمْ في ديـــارِكمْ
وأكثِـــرُ فيهـــا النَّـــوحَ كالفاقِـــدِ الثَّكْلَـــى

أحبابنَـــا واللّهِ مـــا قلـــت بعـــدَكمْ
لنائبـــةِ الأيـــامِ رِفْقَـــاً ولا مَهْـــلا

3-الوصف: للوصف في شعر هذا العصر نصيب وافر, وقد جاء قسم منه في قصائد ومقطوعات مستقَّلة, وقسمه الآخر ضمن الأغراض الأخرى. ونلمح في أوساط الشُّعراء، ولاسيَّما في وصف الطبيعة، مزجاً بين المشاعر والمشاهد مثل قول صفوان بن إدريس (ت 798هـ):

جَـــادَ الربُّـــى مِـــن بَانَـــةِ الجَرْعَـــاءِ
نَـــوآنِ مِـــن دَمعِـــي وَغَـــيمِ سَـــماءِ

هـــل نَلتَقِـــي في رَوضَـــةٍ مَوشِـــيَّةٍ
خَفَّاقَـــــةِ الأَغصَـــانِ وَالأَفيَـــــاءِ

وَجـــرَتْ ثُغُـــورُ اليَاسَـــمِين فَقَبَّلَـــت
عَنِّـــي عِـــذَارَ الآسَـــةِ المَيسَـــاءِ

لم يترك الشِّعراء شيئاً وقعت أعينهم عليه إلا وصفوه, من ذلك قول أحدهم في وصف فانوس:

انظُـــــــر إلى الفــــــانوسِ تَلـــــق مُتَيَّمـــــاً
ذَرَفَـــــتْ علـــــى فَقْـــدِ الحَبيـــــبِ دموعُـــــه
أحيــــــا لياليـــــه بقلـــــبٍ مُضْـــــرَمٍ
وتعـــــدُّ مـــــن تحـــتِ القمـــيصِ ضُـــلوعُه

4-الفخر والحماسة: وهما من الألوان الشِّعرية التي تلاقينا في دواوين الشِّعراء وكتب الأدب, وهذان اللونان قيلا في زمن المعارك التي دارت بين المسلمين والتتر, أو بين المسلمين والصليبيين, أو بين الأسر الحاكمة آنذاك, مثل قول صفي الدين الحلِّيِّ حينما قتل خاله، وأخذ بثأره[16]:

للحفظ

سَـــــلي الرِّمـــــاحَ العَـــوالي عَـــن مَعالينـــــا
وَاستَشـــهِدي البِـــيضَ هَــل خــابَ الرَّجــا فينــا
إِنّــــا لَقَـــــومٌ أَبَـــــت أَخلاقُنـــــا شَـــــرَفًا
أَن نَبتَـــدي بِـــالأَذى مَـــن لَـــيسَ يُؤذينـــا
بِـــــيضٌ صَـــــنائِعُنا، ســـــودٌ وَقائِعُنـــــا
خُضْـــــرٌ مَرابِعُنـــــا، حُمْـــــرٌ مَواضـــــينا
لا يَظهَـــرُ العَجْـــزُ مِنّـــا دونَ نَيـــلِ مُـــنىً
وَلَـــــو رَأَينـــــا المَنايـــــا في أَمانينـــــا

---

(19) ديوان صفي الدين الحلي 20.

6ـ أمَّا شعر الزّهد، فكان رائجاً, وقد فزع الشُّعراء إلى رحابه ليكشف الله عنهم الكرب والبلاء. مثل قول عماد الدِّين بن الحسن البغداديّ المعمار(ت712هـ):

توكَّلْ على اللّهِ جَلَّ اسمُه

ولاتَرْجُونَّ سواه تعالى

فكلُّ امرئٍ يرتجي غيره

لكشفِ الملمَّاتِ يرجو المحالا

ونجد مثل هذه المعاني التي تدور في فلك الفضيلة، وتدعو إلى الأخلاق النَّبيلة, في شعر الحكمة مثل قول عزِّ الدِّين بن كمّونة البغداديّ(ت683هـ):

للحفظ

صُنِ العِلْمَ عن أهلِ الجهالةِ دائماً

ولا تولِه مَنْ لا يكونُ له أهْلا

فيُوْرِثُه كِبْراً ومَقتاً وشِرّةً

ويقلِبُه النُّقصانُ مِن عقلِه جهلا

فكن أبَداً من صونه عنه جاهِداً

ولا تطلُبنّ الفضلَ من ناقصٍ أصْلا

خصائص الشّعر في العصور المتأخرة

إنَّ شعر هذا العصر – كما لاحظنا– يتراود بين مستويين متناقضين:

أحدهما: رصين_ وهو قليل _ حافظ على الصّناعة القديمة، وراعى مقوّماتها وأصولها.

وثانيهما: ضعيف _ وهو الكثير_ ظهرت فيه هلهلة البناء والتّركيب، وافتقر إلى الإبداع والابتكار. إنَّ هؤلاء الكثرة لم يكونوا بالدَّرجة الكافية من المستوى اللغوي والأدبي الذي كان عليه شعراء العصر العبَّاسيّ أمثال بشار بن برد وأبي نواس والبحتري وابن الرّومي والمتنبّي، ومن هنا كان الضّعف واضحاً في أساليبهم, ومثال ذلك قول البوصيريِّ من قصيدة طويلة رفعها إلى الوزير بهاء الدِّين عليِّ بن محمَّدٍ بن سليم[17]:

إليـــــــك أشـــــــكو حالنــــــا، إنّنــــــا
عائلـــــــــــةٌ في غايـــــــــة الكَثْـــــــــرةْ
احـــــــدَّثُ المـــــــولى حـــــــديثًا جـــــــرى
لي معهـــــــــم بـــــــــالخيط والإبـــــــــرةْ
صـــــــاموا مـــــــع النّـــــــاس ولكـــــــنَّهمْ
صـــــــاروا لمـــــــن أبصـــــــرهَم عِبْـــــــرةْ

فهذه الأبيات تنطق بالضّعف, وخمود العاطفة, حتّى بدت، وكأنّها حديث عاديٌّ من أحاديث العامة أو الشحاذين.

(17) ديوان البوصيري (1)(1)7.

ونجد ضعفاً في أساليب الكثيرين إلى جانب ضعف الألفاظ والتراكيب، وقد جاء ذلك من عجزهم عن التَّصرُّف في اللغة تصرّف المالك لزمامها, المتمكُن من دقائق أسرارها. وقد أخفى بعضهم هذا الضعف بثوب الصناعة اللفظية والمحسنات البديعية. ومما يلفت النظر أنهم كانوا يكثرون من استعمال, التورية, ويدعون أنهم أول من تنبه إلى روعتها, من ذلك قول سراج الدين الوراق (ت695هـ) في رجل اسمه عرفات:

أطنبوا في عرفاتٍ فغدوا
يتعاطون لـه حُسْنَ الصِّفاتِ
ثمَّ قالوا لي: هل وافقتنا
قلتُ: عندي وقفةُ في عَرَفَاتِ

إن هذا الشِّعر بعيد عن الذوق العربي الأصيل, ومن أمثلة الشِّعر المتكلف المثقل بالجناس قول شهاب الدين التلعفري (ت675هـ):

أنت خالٍ مما يقاسيه قلبي
من غريرٍ له على الخدِّ خالُ
كلَّما عزَّ، زاد ذلّي وحالتْ
لي َفيه مع الزَّمان الحال

ولم يكتفِ شعراء هذه الحقبة بالإغراق في الصَّنعة وتقصُّد البديع, وإنَّما ذهبت عنايتهم بهذا الاتِّجاه إلى أبعد حدود المبالغة في هذه الصنعة, فكانت في أشعارهم ألوانٌ أخرى من البديع مثل الجناس الغريب والملفق, والقصيدة المعجمة والمهملة, والحروف الموصولة والمقطعة. والى جانب هذا فقد عرض الشِّعر في العصور المتأخِّرة أشكالاً مستحدثة كالتاريخ الشِّعري, والتشجير, وذوات القوافي, ومحبوك الطرفين, والشِّعر الهندسي, وغير هذا كثير، وهو إشارة إلى أنَّ الاهتمام كان منصباً على الشكل من خلال إيجاد شكل بصريٍّ جديد للشعر مثل كتابة القصيدة على شكل شجرة أو مربَّع...إلخ.

أسئلة المناقشة

1. ما هي أهم أغراض الشِّعر في العصور المتأخرة؟
2. اذكر خصائص شعر العصور المتأخرة؟
3. تكلم عن أهم شعراء المديح النبوي.



الفنون الشّعرية المستحدثة

عدد الحصص 2

الأهداف

1. أنْ يعدِّد الطالب الاتجاهات الشعرية في العصور المتأخرة.
2. أنْ يذكر الطالب خصائص شعر العصور المتأخرة.
3. أن يقرأ الطالب الأبيات الشعرية قراءة معبرة.
4. أن يقرأ الطالب خمسة أبيات شعرية نظمها (الكوفي) في رثاء بغداد عن ظهر قلب.
5. أن يعطي الطالب معاني بعض الكلمات الواردة في القصائد.
6. أن يقرأ الطالب أربعة أبيات شعرية نظمها (صفي الدين الحلي) في الفخر والحماسة عن ظهر قلب.
7. أن يقرأ الطالب ثلاثة أبيات شعرية نظمها (عز الدين بن كمونة البغدادي) في الحكمة عن ظهر قلب.

سارت فنون الشِّعر العربيِّ في العصور المتأخرة في اتجاهين بارزين:

أحدهما: محافظ في منهج القصيدة بناءً ولغةً.

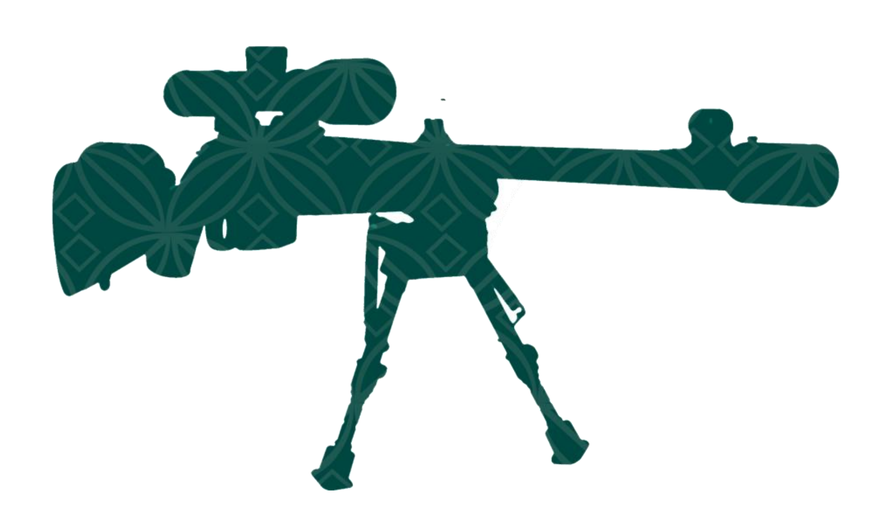
وثانيهما: مستحدثٌ انبثق من البيئة الجديدة التي اختلطت فيها أجناس متباينة, وثقافات متنوعة, وعادات مختلفة, وطبائع متمايزة.

ومن أبرز الفنون الشِّعرية المستحدثة في هذه البيئة هي: الدوبيت, والموشح, والزجل والمواليا, والكان وكان, والقوما, والبند. ومن أوائل من اهتم بهذه الفنون, ماعدا البند, صفي الدين الحلي. قال: ((فإنّي كنت أضفت إلى ديوان أشعاري فني الموشح والدوبيت لتحليهما بالإعراب ونسجهما على منوال لفظ الأعراب, وأعريته من الفنون الأربعة التي لحنُها إعرابْها, وخطأ نحوها صوابها, وهي: الزجل, والمواليا والكان وكان والقوما. فهي الفنون التي إعرابها لحن, وفصاحتها لكن, وقوة لفظها وهنٌ, حلالُ الإعرابِ بها حرام، وصحَّةُ اللفظ بها سقام, يتجدد حسنها إذا زادت خلاعة, وتضعف صنعتها إذا أودعت من النحو صناعة, فهي السهل الممتنع, والأدنى المرتفع)).

إن ضعف المستوى اللغوي والثقافي في جزء كبير من المجتمع في العصور المتأخرة دفع الكثيرين من الشِّعراء إلى النظم في الفنون السابقة، وهي فنونٌ لا تلتزم بعمود الشِّعر المعروف، لا سيَّما ما يتعلَّق بالأوزان، واستخدام الألفاظ العاميَّة, ومخالفة القياس الصرفيِّ أو اللغوي، خاصَّةً في الزَّجل والمواليا والكان وكان والقوما. وهناك من يرى أنَّ ظهور هذه الفنون المستحدثة هو تطورٌ طبيعيٌّ للفنون، وهناك من يرى أنها انعكاس للواقع لما فيه من ضعف لغوي وثقافي وسياسي وحضاري.

أسئلة المناقشة

1. ما أبرز الفنون الشِّعرية المستحدثة في العصور المتأخرة؟
2. علِّل أسباب نظم الشعراء للفنون الشِّعرية المستحدثة.



صفي الدين الحلي

الأهداف

عدد الحصص 2

1. أن يلخص الطالب سيرة حياة الشاعر (الحلي).
2. أن يذكر الطالب أهم مؤلفات الحلي.
3. أن يشرح الطالب مميزات شعر الحلي.
4. أن يقرأ الطالب الأبيات الشعرية قراءة جيدة.
5. أن يعطي الطالب معاني بعض الكلمات الواردة في القصيدة.

هو أبو الفضل صفيُّ الدين عبدُ العزيز بن سرايا بن علي الطائي[18].ولد يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة (677هـ) في مدينة الحلة, تلك المدينة التي أسسها المزْيديُّون سنة (495 هـ) وحملت مشعل الحضارة الإسلامية مدَّة من الزمن غير يسير, وظلت ترقى سلَّم المجد يوم كان معظم البلاد الإسلاميَّة يتخبَّط في ظلام دامس, وقد طغى عليها الاضطراب في جميع نواحي الحياة, من سياسيَّة واجتماعيَّة واقتصاديَّة وفكرية من جراء تلك الهجمات المدمرة التي شنها عليهم المغول الذين سيطروا بالعسف والتنكيل، وقضوا على معالم المدنيَّة والحضارة، إلاَّ الحَّلة، فظلت شعلتها مشتعلة تتوقد, فاستطاع الصَّفيَّ أن ينهل ما شاء من هذا المورد العذب, وقد ذكر صفيُّ الدين مدينة الحلة في شعره ، فقال:

ألا بَلِّغ هُديتَ سماة قومي
بحلَّةِ بابلٍ، عند الورودِ
ألا لا تَشغلوا قلباً لبُعدٍ
فإنَّي كلَّ يومٍ في مَزِيْدِ

(18) تنظر ترجمته في فوات الوفيات 2:335 الدرر الكامنة 2:379 النجوم الزاهرة (1)38:(1)0, بدائع الزهور (1)73:(1). 2(1)0,

وقال:

مـــــن لم تــــرَ الحلَّــــةَ الفيحــــاءَ مقلتُــــهُ

فانَّــــه في انقضــــاءِ العمْــــر مغبــــونُ

فالغُـــــدْرُ طافحــــةٌ، والــــرِّيحُ نافحــــةٌ

والـــوُرْقُ صـــادحةٌ، والطَّـــلُّ موضـــونُ

نشأ في حجر أسرة عربية لها مكانتها المرموقة ومنزلتها الرَّفيعة، وتعلم القراءة والكتابة منذ الصغر، ودرس علوم اللغة العربية وآدابها في شبابه, ومارس الفروسية والصيد.

وحدث في الحلة نزاع شديد على الرياسة والإمارة, ولا سيَّما بين أخوال صفي الدين من بني محاسن, وآل أبي الفضل, وحينما قتل خاله عبد الله بن حمزة بن محاسن غيلةً، وهو في مسجده رثاه بقصيدة حارةٍ، وحث قومه على أخذ الثَّأر. وقد وقعت معركة حامية بين الطَّرفين قرب بغداد سنة 701 هـ عرفت بمعركة "زوراء العراق", شارك فيها صفي الدين الحلي، وأبلى فيها بلاء حسناً، وأثخن الجراح في الأعداء, وأبدى شجاعةً نادرةً وبسالةً فائقةً، ونظم قصيدة حماسيَّةً أولها:

سَــــلِي الرِّمــــاحَ العــــوالي عــــن معالينــــا

واستشــهدي البــيضَ: هــل خــابَ الرَّجــا فينــا

لمــــا ســــعينا، فمــــا رقَّــــتْ عزائمنــــا

عمَّــــا نــــرومُ، ولا خابــــت مســــاعينا

يــــا يــــوم وقعــــةِ زوراءِ العــــراقِ وقــــد

دنَّــــا الأعــــادي كمــــا كــــانوا يــــدينونا

ترك صفيُّ الدِّين مدينة الحلَّة- بعد أن أقلق الخصوم راحتَه، وهددوا حياته- ونزل ماردين, واتصل بملكها المنصور نجم الدُين أبي الفتح غازي بن أُرتق التُّركماني، ونظم في مدحه تسعاً وعشرين قصيدة في كل قصيدة منها تسعة وعشرون بيتاً على حرف من حروف المعجم يبتدئ به في كلِّ بيت منها وبه يختتم البيت، وسمَّى تلك القصائد بـ"درر النحور في مدائح الملك المنصور" ومدحه أيضاً بقصائد أخرى أودعها ديوانه.

وعاش صفي الدين زمناً طويلاً في كنف الأرتقيين, ولا سيما المنصور وابنه الصالح الذي نظم فيه جملة من القصائد سماها بـ"الصالحيات" ، واشتغل بالتجارة, وطاف في عدة أقطار, ومدح جماعة من ملوكها وأمرائها, ومكث في مدنها الرئيسة مُدداً غير قليلة, مثل دمشق وحلب في الشام, وأباس في أرمينية الصغرى المعروفة إذ ذاك بسيس, وأدى فريضة الحج ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم في قصيدته التي يقول في مطلعها:

كفى البدر حسناً أن يقالَ نظيرها

فيزهى، ولكنَّا بذاك نضيرُها

وارتحل إلى القاهرة, وشاهد معالمها, واتَّصل بأدبائها وعلمائها أمثال الشَّاعر ابن نباتة المصري, والمؤرخ صلاح الدين الصفدي, والقاضي علاء الدين ابن الأثير. ولقي حفاوة بالغة وترحيبا حاراً من الجميع. وبقي متجولاً، يتردد إلى حلب وحماة ودمشق, ثم يعود إلى ماردين, وعاد في آخر عمره إلى بغداد, واستقر فيها ورآه الفيروز أبادي مؤلف القاموس وقال:((اجتمعت سنة 747هـ بالأديب الشاعر صفي الدين بن سرايا الحلي – رحمه الله – بمدينة بغداد, فرأيته شيخاً كبيراً، وله قدرة تامة على النظم والنَّثر, وخبرة بعلوم العربية والشِّعر, فغزله أرق من النسيم, وأدقُّ من المحيَّا الوسيمِ.

ولكنه كان في حالة رثَّة، وهيئةٍ قبيحة، ومن يرى صورته لا يظنُّ أنَه هو الذي ينظم الشِّعر الذي هو كالدّر في أصدافه)).

وفي سنة(750هـ) انتشر الطاعون ببغداد وغيرها من البلاد, فأتى عليه وله من العمر ثلاث وسبعون سنة.

آثاره:

لصفي الدين تأليف في الأدب واللغة منها:

1. العاطل الحالي والمرخص الغالي: يبحث في فنون الشِّعر العامي, وهو مطبوع.
2. نتائج الألمعية في شرح الكافية البديعية: منها نسخة في مكتبة الأسكوريال بإسبانيا، وأخرى في دار الكتب المصرية.
3. أغلاطي: وهو معجم بالأغلاط اللغوية الشائعة في عصره, منه أقسام بمكتبة الاسكوريال بإسبانيا.
4. الدر النفيس في أجناس التجنيس: منه نسخةٌ بدار الكتب المصرية.
5. الخدمة الجلية: وهو في وصف الصيد.
6. ديوان صفة الشِّعراء وخلاصة البلغاء.
7. رسائله: طبع بعضها مع ديوانه (طبعة النجف 1956).
8. ديوان شعره: يحتوي على أكثر من عشرة آلاف بيت في اثني عشر بابا، في كل باب فصلان أو أكثر، وجملة الفصول ثلاثون والأبواب: الفخر والحماسة، والمديح، الطرديات، الوصف، الإخوانيتان, المراثي, الشكوى والعتاب, الاستهداء والاعتذار, الألغاز, الملح والأهاجي, الأدب والزهد.

شعره:

اشتهر صفي الدين الحلي بالشِّعر أكثر من اشتهاره بالنَّثر مع انه قد برز في كليهما, وعده النقاد والباحثون أشعر شعراء عصره لما امتاز به شعره من خصائص وسماتٍ على صعيدي المعاني والألفاظ.

إن أغلب مدائحه في الملوك الأرتقيين, وملوك حماة, والناصر بن قلاوون وعلاء الدِّين بن الأثير, ولم يخرج فيها عن مدائح الذين سبقوه من وصف الممدوح بالسخاء والشجاعة والإباء وغيرها من المعاني المطروقة, وكثيراً ما يبالغ في هذه الصفات, ومن ذلك قصيدته التي مدح بها الملك الصالح بن الملك المنصور الأرتقي، وقد أرسلها من بغداد إليه ومطلعها:

ما هبَّت الرِّيح إلاَّ هزَّني الطَّرَبُ
إذ كانَ للقلبِ في مرِّ الصّبا أرَبُ

ومنها:

يا ابنَ الذين غَدَتْ أيَّامُهُمْ عَبراً
بينَ الأنام، بها الأمثال قد ضربوا
كالأُسْدِ إنْ غضبوا، والموتِ إن طلبوا
والسيفِ إنْ ندبوا والسَّيلِ إن وهبوا
إن حكِّموا عدلوا، أو أملَّوا بذلوا
أو حوربوا قتلوا، أو غولبوا غلبوا

وكان لصفي الدين ذوق جميل في الوصف, وأداة طيعة في التصوير البارع, فنراه يجيد في وصف الحدائق والمروج, ومباهج القصور, والحيوانات اللطيفة, والطيور البديعة, وديباجته في هذا الوصف مشرقة, وألفاظه سهلة, وصوره واضحة.

وعقد علاقات وثيقة مع أصدقاء اكتسبهم بعد خروجه من الحلة, مسقط رأسه, ومدرج صباه, ومسرح فتوته, ومعهد أُنسه ولهوه, وسكن ماردين في ظل الملوك الأرتقيين, وتعرف على أناس كثيرين في الشام ومصر والحجاز حين تجواله فيها, ونظم شعراً كثيراً وقد ثبَّته في الباب الرابع من ديوانه, وسماه((في الإخوانيات وصدور المراسلات)) من ذلك قصيدة أرسلها إلى الشَّيخ مهذب الدين محمود بن يحيى النحويِّ الحليِّ, قال فيها:

بَكَيتُ لِفَقدِ الأَربَعِ الخُضْرِ مِنكُمُ
عَلى الرَّملَةِ الفَيحاءِ بِالأَربِعِ الحُمْرِ

فَكَيفَ بَقِى إنسانُ عَيني، وَقَد مَضى
عَلى ذَلِكَ الإِنسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ

سَقى رَوضَةَ السَّعْدِيِّ مِن أرضِ بابِلِ
سَحابٌ ضَحوكُ البَرقِ مُنتَحِبُ القَطرِ

وَحَيّا الحَيا مَغنىً قَضَيتُ بِرَبعِهِ
فُروضَ الصِّبا ما بَينَ رَملَةَ وَالجِسْرِ

وَرُبَّ نَسيمٍ مَرَّ لي مِن دِيارِكُمْ
فَفاحَ لَنا مِن طَيِّهِ طَيِّبُ النَشْرِ

وَأَذكَرَني عَهداً، وَما كُنتُ ناسِياً
وَلَكِنَّهُ تَجديدُ ذِكْرٍ عَلى ذِكْرِ

ولصفي الدين أبيات ومقطعات في الأدب والحكم, وفي الزهد والتقشف يمكن الرجوع إليها في ديوانه.

إن شعره يتراوح بين مجموعةٍ صادرةٍ عن فطرةٍ سليمةٍ وطبع سليم، وأخرى غلب عليها التكلف والصنعة، ويبدو انه تابع في المجموعة الثّانية

أولئك الذين قيدوا أنفسهم بالصناعة وأراد أن يتفوَّق عليهم، فجنَّس وطابق واقتبس وضمَّن وقابل ونشر وطوى وقسَّم، وتعمَّد التشبيه والاستعارة, وتلاعب بالحروف, فأهمل وأعجم, والتزم ما لم يلزم، وبنى أحياناً على لفظٍ واحدٍ يردده في رويُ كلِّ بيتِ مع اختلاف المعنى، وابتدع الموشَّح المضمن.

أما شعره الذي سلم من الصَّنعة والتَّكلُّف فيتميَّز برقَّة الألفاظ وسهولتها, ووضوحِ المعاني وصحَّتِها.

أسئلة المناقشة

1. عدِّد بعضاً من مؤلفات صفي الدين الحلي؟
2. تكلَّم عن مميزات شعر صفي الدين الحلي؟




تمت بحمد الله